

اهداء من شبكة الالوكة www.alukah.net

٨ د.س

قطوف من الأدب والبلاغة

د. زيد بن محمد الرماني

الطبعة الأولى

دار طويق للنشر والتوزيع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



قطوف من الأدب والبلاغة





اهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قطوف من الأدب والبلاغة

د. زيد بن محمد الرماني

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ

دار طويق للنشر والتوزيع



إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



ح دار طويق للنشر والتوزيع ، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الرماني ، زيد محمد

قطوف من الأدب والبلاغة . - الرياض.

٩٨ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٦ - ٠٦٥ - ٨٦٨ - ٩٩٦٠

١ - الأدب العربي - مجموعات أ- العنوان

ديوي ٨١٠,٨ ٢٢/١٤١٩

رقم الايداع ٢٢/١٤١٩

ردمك : ٦ - ٠٦٥ - ٨٦٨ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار طويق للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٤٤٨ الرياض ١١٦٧٥

ت: ٢٤٩١٣٧٤ - ٢٤٨٦٦٧٧ - ٢٤٨٦٦٨٨

بريد إليكتروني E-mail: dartwaiq@zajil.net

مكتب القاهرة

هاتف : ٤٥٩٤٦٧٩

محمول : ٠١٢٢٩٦٤٨٣٦

مساكن كورنيش النيل مدخل (٥) شقة (١)

روض الفرج




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net






www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة






www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقدمة

الحمد لله، الذي قال في كتابه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ... ﴾ (سورة الحجرات ١٣)، ومن خلال هذا التعارف يكون هذا التلاقي والتقارب.

والكلمة الحُلوة، والنادرة اللطيفة، والحكمة الخالدة، والقصة العجيبة، والحكاية الغريبة، والإجابة المفحمة، والمثل الشَرود، والشعر الرائع، والأحاديث الشريفة والآثار، والتراجم الحافلة بأهم الأحداث والأخبار والأسرار كلها مما يترك في النفس أعظم الآثار، ويقوي الروابط بين الصفوة الأخيار!.

والإنسان ـ كما يقول ابن خلدون رحمه الله مدني بطبعه ـ يحتاج إلى إلف يعاشره، وأنيس يجالسه.

والمحادثة فن، والمؤانسة قدرة، واستهواء السامعين براعة ولا ينال الإنسان هذه المنزلة إلا إذا غاص في البحر بحر اللغة ليستخرج جواهرها وكنوزها ولآلئها ودُررها، وأنىّ له ذلك والحياة تشده إليها، وتحول بينه وبين هذا الأمل المرجو ؟!.

يقول السيوطي رحمه الله في مقدمة كتابه " الإتقان " " العلم بحر زخار لا يُدْرك له قرار، وطودٌ شامخ لا يُسْلَك إلى قممه ولا يُصار!".

من أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولاً، ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلا، كيف وقد قال الله تعالى مخاطباً خلقه ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (سورة الإسراء ٨٥)



www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبعد : فإن قيمة التراث تكمن فيما يبعثه فينا من قيم عليا وما يمدنا به من علم، وحكمة، وتاريخ، وأدب، ولغة، وتشريع، تساعدنا على تنمية الروابط وتقوية الأواصر، واستكمال مقومات شخصيتنا. وقد اجتمعت في هذه القطوف خلاصة كل ما يتطلبه من ينشد الكمال ليكون أقدر على المؤانسة، وعندما يأنس كل منا بأخيه تحلو الحياة، وترفرف أعلام السعادة على الجميع، وهذا هو أمل الفلاسفة والحكماء والمصلحين في كل العصور!.

ومن هنا كان اختياري لهذه القطوف، وكل ما أرجوه أن يصاحبني التوفيق، وأكون قد أحسنت الاختيار، والله ولي التوفيق...



إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

منثورات في فضل الأدب

قال شبيب بن شيبة : اطلبوا الأدب، فإنه مادة الفعل، ودليل على المروءة وصاحب في الغربة، ومؤنسٌ في الوحشة، وحليةٌ في المجلس، ويجمع لكم القلوب المختلفة .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : " عليكم بطلب الأدب فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالاً، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالاً ".

سئل ديوجانس (حكيم يوناني) أي الخصال أحمدُ عاقبة ؟ قال : الإيمان بالله، وبُّر الوالدين، ومحبة العلماء، وقبول الأدب .

وقال أردشيربن يابك : من فضيلة الأدب أنه ممدوح بكل لسان ومتزيَّن به في كل مكان، وباقٍ ذكره على أيام الزمان.

قال بعض الحكماء : الأدب صورة العقل، فصوِّر عقلك كيف شئت .

وقال آخر : العقل بلا أدب كالشجر العاقر، ومع الأدب كالشجر المثمر.

قال بعض الأدباء : ذكِّ قليل بالأدب، كما توقىَّ النار بالحطب واتخذ الأدب غنماً والحرص عليه حظًا، يرتجيك راغب، ويخاف صولتك راهب ويُؤَّمل نفعك، ويُرجى عدلك.

وقال بعض العلماء : الأدب وسيلة إلى كل فضيلة وذريعة إلى كل شريعة .

وقال بعض الفصحاء : الأدب يستر قبيح النسب .



إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال الأحنف : الأدب نور العقل، كما أن النار في الظلمة نور البصر.

وقال محمد بن جعفر : الأدب رياسة والحزم كياسة، والغضب نار والصَّخَبُ عار.

الأدب كما قيل أربعة : أدب لسان، وأدب جنان، وأدب زمان وأدب إيمان.

فأدب اللسان : الفصاحة والبلاغة وذكر ما صدر عن أربابها.

وأدب الجنان : الانقياد والسهولة والتزين بهما.

وأدب الزمان : سيرة كبراء أهله في مخاطباتهم وتصرفاتهم وحفظ أخبارهم.

وأدب الإيمان : ما جاء به الشرع من المحاسن المكملة في الأخلاق والأقوال والأفعال .

وصف أعرابيٌّ الأدب في مجلس مُعْتمر بن سليمان فقال : " الأدب أدب الدين وهو داعيةٌ إلى التوفيق، وسببٌ إلى السعادة وزادٌ من التقوى وهو أن تعلم شرائع الإسلام، وأداءُ الفرائض، وأن تأخذ بحظِّها من النافلة، ويزيد ذلك بصِّحة النية وإخلاص النفس وحب الخير...".

وحكى الأصمعي رحمه الله، أن أعرابيًا قال لابنه : يا بُنيٌّ : الأدب دعامة أيد الله بها الألباب، وحلية زيَّن الله بها عواطل الأحساب. فالعاقل لا يستغني وإن صبحت غريزته عن الأدب المخرج زهرته، كما لا تستغني الأرض وإن عذُبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها.



قال أبو العتاهية:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا ... يغنيك محموده عن النسبِ
إن الفتى من يقول ها أنذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي
لكل شيء زينة في الورى ... وزينة المرء تمام الأدبِ
قد يشرف المرءُ بآدابه ... فينا وإن كان وضيع النسبِ

وقال خلف الأحمر :ـ

خير ما ورث الرجال بنيهم ... أدبٌ صالحٌ وحسنُ تناءِ
هو خيرٌ من الدنانير والأوراق في يوم شدَّةٍ ورخاءِ

وقال بعض الشعراء : ـ

فما خلق الله مثل العقولِ ... ولا اكتسب الناس مثل الأدبْ
وما كَرَمُ المرء إلا التقى ... ولا حَسَبُ المرء إلا النسبْ
وفي العلم زين لأهل الهجا ... وآفة ذي الحلم طيش الغضبْ

لطائف أدبية

✦ وصف الكتاب:

قال الجاحظ " أبو عثمان عمرو بن بحر - الجاحظ لقب لجحوظ في عينيه في كتاب الحيوان : الكتاب نعم الأنيس في ساعة الوحدة، ونعم المعرفة في دار الغربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الزائر والنزيل، وعاءٌ مليءٌ علمًا وظَرْفٌ حشي ظَرْفاً، وإناء مليء مُزاحًا وجدًا، وحبذ بستان يحمل في خرج، وروض يقلب في حجر. هل سمعت بشجرة تؤتى أكلها كل حين بألوان مختلفة وطعوم متباينة ؟ هل سمعت بشجرة لا تذوي وزهر لا يذبل وثمر لا يغني ؟ ومَنْ لك بجليس يفيد الشيء وخلافه، والجنس وضده ؟ ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء، إن غضبتَ لم يغضب، وإن عربدت لم يصخب، أكتم من الأرض وأنّم من الريح، وأهوى من الهوى، وأخدع من المنى وأمتع من الضحى، وأنطق من سحبان وائل، وأعْيا من باقل، هل سمعت بمعلِّم تحلى بخلال كثيرة، وجميع أوصافًا عديدة عربي فارسي يوناني هندي سندي ؟ إن وعظ أسمع، وإن ألهى أمتع، وإن أبكى أدمع وإن ضرب أوجع، يفيدك ويستفيد منك، ويزيدك ويستزيد منك، إن جَدَّ فعِبْرة، وإن مزح فنزهة، قبر الأسرار وقيد العلوم وينبوع الحكم ومعدن المكارم ومؤنس لا ينام، يُفيدك علم الأولين، ويخبرك عن كثير من أخبار المتأخرين، هل سَمِعت من الأولين أو بلغّك عن أحد من السالفين مَنْ جمع هذه الأصناف مع قلة مؤنته وحَفة محمله، لا يرزؤك شيئًا من دنياك؟ نعم المدخر والعدة والمشتغل والحرفة، يعطيك في الليل والنهار، ويطيعك في السفر طاعته في الحضر، إن أطلتَ النظر فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك، وبسط لسانك وجوَّد بيانك وفخّم

ألفاظك، إن ألْفتَهُ خلَّد على الأيام ذكرك، وإن درسته رفع في الخَلْق قدرك، يقعد العبيد في مقاعد السادات ويجلس السوقة في مجلس الملوك، فأكرم به من صاحب رفيق وأعززِ به من موافق صديق ....

✦ لا أعلم !!! نصف العلم:

سأل رجل " ابن عمر " رضي الله عنهما عن شيء، فقال لا أعلم، ثم قال الرجل بعد أن ولىَّ: نعم، ما قال ابن عمر لما لم يعلم: لا أعلم ...

وسئل مالك بن أنس رضي الله عنه عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها، لا أدري.

وكان عبد الله بن يزيد يقول : ينبغي للعالم أن يورث جلساؤه من بعده: لا أدري، حتى يكون أصلاً منه في أيديهم إذا سئل أحدهم عما لا يعلم أن يقول : لا أدري. لا أدري.

وسئل الشعبي عن مسألة فقال : لا أعلم، فقيل ألا تستحي وأنت فقيه العراقيين ؟ ـ الكوفة والبصرة ـ قال لا أستحي مما لا تستحي منه الملائكة حين قالت : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ (سورة البقرة ٣٢)

وقال سفيان بن عيينه: كنت في حلقة رجل من ولد عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فسئل عن شيء فقال : لا أدري، فقال يحيى بن سعيد: العجب منك كل العجب تقول لا أدري وأنت ابن إمام الهدى ؟ فقال: أعجب مني عند الله من قال بغير علم وحدَّث بغير ثقة ...

وسئل " أبو يوسف " عن شيء فقال : لا أدري، فقيل له : تأكل من بيت المال كل يوم كذا وكذا، وتقول لا أدري. فقال : آكل منه بقدر علمي، ولو أكلت بقدر جهلي ما كفاني ما في الدنيا جميعا ...

وقال أعرابي : لا تقل فيما لا تعلم فتتهم فيما تعلم ...

✦ أعرابي أبكى عمر !...

قيل : إن أعرابيًا وقف على عمر بن الخطاب فقال :

يا عُمَرَ الخير جُزيت الجنةْ ‏ ‏ أُكْسُ بُنياتي وأمهُنَّهْ

وكُنْ لنا في الزمان جُنَّةْ ‏ ‏ أقسِمُ بالله لتفعَّلَنَّهْ

فقال عمر : وإن لم أفعل يكون ماذا ؟

قال : إذاً أبا حفصٍ لأمضينَهْ.

فقال : فإن مضيت يكون ماذا ؟

قال :

والله عَنَّهُنَ لتُسألَنَّهْ ‏ ‏ يومَ تكون الأُعطياتُ مِنَّهْ

وموقِفُ المسؤولِ مبيَهَّنَهْ ‏ ‏ إما إلى نار وإما جَنَّةْ

فبكى عمر حتى احقلَّت لحيتُه، ثم قال لغلامه: والله، لا أملك غيره...

ابن الجوزي ــ سيرة ص١٦٦

✦ يانفس توبي :

قال صالح بن اللخمي يوصي ابنه:

يابُنَّي إذا مرَّ بك يوم وليلة قد سلم فيهما دينك وجسمك ومالك. فأكثر الشكر لله تعالى، فكم من مسلوب دينه، ومتروع ملكه، ومهتوك ستره، ومقصوم ظهره، في ذلك اليوم، وأنت في عافية...

وأعلم :

إنما الدنيا نهار	ضوءه ضوءٌ معار
بينما غُصتك غضٌ	ناعمٌ فيه اخضرار
إذ رماه الدهر يوماً	فإذا فيه اصفرار
وكذاك الليل يأتي	ثم يمحوه النهار !

تهذيب تاريخ دمشق ٦ / ٣٧٠...

✦ نادرة :

قال بعضهم : رأيت رجلاً محموماً مصدعاً وهو يأكل التمر ويتكرهه. فقلت له: ويحك لم تأكل هذا في حالك هذا ؟ يقتُلك. فقال: عندنا شاة ترضع وليس لها نوى، فأنا آكل هذا التمر مع كراهيتي له لأطعمها النوى. فقلت : فأطعمها التمر بالنوى، قال : أو يجوز هذا ؟ قلت: نعم. قال: قد والله فرجت عني، لا إله إلا الله، ما أحسن العلم...

نثر الدر / ٢٤٢...

✦ طرفة:

جاء شيخ إلى الطيب فقال : إني أشتكي فترة أعضائي، وقلّة استمرائي، ووهناً في مفاصلي ونحو ذلك مما يعتري المشايخ، فماذا أعمل؟

فقال : إن هذه العلّة التي اعترتك تسمى كابوريا.

قال : فما علاجها ... قال : قابوريا ...

فقال : فسَّر لي .. فقال هي الكبر، وعلاجها القبر ...

حماسة الظرفاء - الزوزني - ٢ / ٦٩...

✦ ثمرة مذاكرة العلم:

قال علي بن المديني : جاء رجل إلى ابن مهدي - عبد الرحمن بن مهدي إمام أهل الحديث في عصره والمعول عليه في علوم الحديث ومعارفه ولد (١٣٥ هـ) وتوفي (١٩٨ هـ) رحمه الله تعالى - فقال : يا أبا سعيد إنك تقول : هذا ضعيف، وهذا قوي، وهذا لا يصح، فعمَّ تقول ذلك: فقال ابن مهدي : لو أتيت الناقد فأريته دراهم، فقال : هذا جيِّد، وهذا جيد، وهذا ستّوق وهذا بهرج، أكنت تسأله عم ذاك، أم تُسلّم الأمر إليه. فقال : بل كنت أسلّم الأمر إليه.

فقال ابن مهدي : هذا كذاك. هذا بطول المجالسة والمناظرة والمذاكرة والعلم به...

تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٣٠٥ ...

✦ مليحة:

قال يحيى بن معين : اشترى غندر ـــ هو محمد جعفر الهذلي المعروف بغندر توفي سنة ١٩٣ هـ ـ قال ابن حيان عنه: كان من خيار عباد الله ومن أصحهم كتاباً، جاء ذات مرة يحمل سمكاً، فقال لأهله : أصلحوه ونام، فأكلوا السمك ولطخَّوا يده، فلما انتبه، قال : هاتوا السمك.

فقالوا : قد أكلت . قال : لا !! قالوا فَشم يدك، ففعل. فقال : صدقتم ولكني ما شَبِعتُ !.

وفي الميزان، قال : أما كان يدلني بطني ...

تهذيب التهذيب ٩ / ٩٧

✦ نكتة:

مرَّ أعرابي بمرآة مُلقاة في مزبلة، فنظر وجهه فيها، فإذا هو سمج بغيض، فرمى بها، وقال : ما طرحكِ أهلكِ من خير ...

جمع الجواهر ٢٧٧ ...

✦ فائدة:

قال ابن قيم الجوزية في كتابه " بدائع الفوائد " ج ٣ / ٢١٣ : الدنيا سجن المؤمن فيه تفسيران صحيحان : أحدهما : أن المؤمن قيده إيمانه من المحظورات والكافر مطلق التصرف.

الثاني : أن ذلك باعتبار العواقب، فالمؤمن لو كان أنعم الناس فذلك بالإضافة إلى حاله في الجنة كالسجن والكافر عكسه فإنه لو كان أشد الناس

بؤسًا فذلك بالنسبة إلى النار جنته : أي الدنيا ...

✦ حمار:

كتب معلم لتلميذه - بعد أن صحَّح له كُراسته - كلمة حمار، فلما رآه التلميذ قال له : أرجو يا سيدي أن تمحوها هذه المرَّة فقط ...

فقال المعلَّم مستحيل، فيجب أن يراها أبوك عندما تعود إلى البيت.

فقال التلميذ : طيب، سأقول له إن سألني عنها : إنها إمضاء المعلِّم ....

✦ بلاغة العرب :

قال معاوية لصحَّار بن العباس العبدي : ما هذه البلاغة فيكم عبد القيس؟ قال : شيء يختلج في صدورنا، فتقذفه ألسنتنا، كما يقذف البحر الزبد. قال : فما البلاغة عندكم؟ قال : أن تقول فلا تخطيء، وتجيب فلا تُبطئ ...

ملح ونوادر

✦ قال رجل لابنه وهو يختلف إلى المكتب : في أي سورة أنت؟ قال : في لا أقسم بهذا البلد، ووالدي بلا ولد، فقال : لعمري من كنت أنت ولده فهو بلا ولد!!...

✦ وجَّه رجل ابنه ليشتري له حبلاً طوله عشرون ذراعًا، فعاد من بعض الطريق، وقال : يا أبي في عرض كم؟ فقال في عرض مصيبتي بك ...

✦ نظر أعرابي إلى ابن له قبيح فقال : يا بني إنك لست من زينة الحياة الدنيا ...

✦ قال أبو زيد الحارثي لابنه : والله لا أفلحت أبدًا، فقال : لست أحنثك والله يا أبتِ....

✦ قال أبو العيناء : استودع رجلُ عند إمام محلَّته قارورة زئبق، فجحده إياها، وقام يصلِّي بهم شهر رمضان وقرأ { قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون} وكررّها، فقال الرجل : قارورة زئبق ....

✦ قال خالد بن صفوان للفرزدق : يا أبا فراس، لو رأتك صويحبات يوسف لما أكبرْنك ولا قطعَّن أيديهن؟ فقال : وأنت يا خالد، لو رأتك صاحبةُ موسى لما قالت : يا أبت استأجره، إن خير من استأجرت القويُّ الأمينُ ....

✦ قال رجل لغلامه : التمس لي دارًا لا تكون بجوار مسجد، فإني أُحِّبُ الأفراح، فاكترى له دارًا بين مسجدين، فقال له ما هذا ؟ قال : يا مولاي، لا تدري المعنى، أهل هذا المسجد يظنوّنك في هذا، وأهل ذا يظنوّنك

في هذا، وأنت قد ظفرت بما تُحب ....

✦ قال بعض البخلاء لغلامه : هات الطعام وأغلق الباب. فقال : يا مولاي، هذا خطأ، إنما يقال : أغْلق الباب وهات الطعام.

فقال له : أنت حُرٌّ لوجه الله لمعرفتك بالحزم ....

✦ وقال الحمدوني :

أبا سعيد لنا في شاتك العِبرُ ... جاءت وليس لها بَوْلٌ ولا بَعْرُ
وكيف تَبْعُر شاةٌ عندكم مكثتْ ... طعامها الأبيضان الشمس والقمر
لو أنها أبصرتْ في نومها عَلَفًا ... تمنَّتْ له ودموع العين تَنْحدرُ

زهرة الآداب - الحصري القيرواني

وقال الحمدوني أيضًا :

لسعيد شويهة ... سلَّها الضُرّ والعَجَفْ
قد تغنّت وأبصرتْ ... رجلا حاملاً عَلَفْ
بأبي من بكفِّه ... بُرءُ ما بي من الدَّنَفْ
فأتاها مطمِّعًا ... فأتته لتَعتَلِفْ
فتوَّلى فأقبلتْ ... تتغنّى من الأسفْ
ليته لم يكُن وقفْ ... عذّب القلبَ والصَرَفْ

✦ يقال : إنَّ من عادة أهل مَرْو - بخراسان - إذا ترافقوا في سفر أن يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشكُّها في خيط، ويجمعون اللحم كلَّه في

قِدْر، ويُمسك كلٌّ واحد منهم طرف خيطه، فإذا استوى جرَّ كلٌّ منهم خيطه وأكل لحمه، وتقاسموا المَرَق ....

الأبشهي/المستطرف.

✦ ومن بخلاء العرب المشهورين أبو الأسود الدؤلي، فقد قيل : وقف إعرابي على أبو الأسود وهو يتغدى، فسلَّم، فردَّ عليه، ثم أقبل على الأكل ولم يعزم عليه، فقال له : إني قد مررت بأهلك، قال : كذلك كان طريقك، قال: وامرأتك حُبْلى، قال : كذلك كان عهدي بها، قال: قد ولَدت، قال: لابد لها أن تلد، قال : ولدتْ غلامين، قال : كذلك كانت أمُّها، قال: مات أحدهما، قال : ما كانت تقوى على إرضاع الاثنين، قال: مات الآخر، قال: ما كان ليبقى بعد موت أخيه، قال: وماتت الأم، قال: حزنًا على ولَديْها، قال : ما أطيب طعامك !! قال: لأجل ذلك أكلته وحدي، والله لا ذُقْتهُ يا أعرابي !!

النويري / نهاية الإرب.

✦ طبخ بعض البخلاء قِدْرًا من الطعام، وجلس يأكل مع زوجته فقال : ما أطيب هذا الطعام لو لا كثرة الزِّحام ! فقالت امرأته : وأي زحَّام وما سمَّ إلا أنا وأنت، قال كنتُ أُحبُّ أن أكون أنا والقِدْر !! ....

النويري، نهاية الإرب.

✦ وقف رجلٌ من العامة بجوار أبي العيناء وكان أعمى فلما أحسّ به قال : مَنْ هذا ؟ قال : رجلٌ من بني آدم. فقال أبو العيناء : مرحبًا بك، أطال

الله بقاءك، ما كنت أظنّ أن هذا النسل إلا قد انقرض !! ....

الجوفي/ الفكاهة.

✦ تحاكم الرشيد وزبيدة إلى أبي يوسف صاحب كتاب الخراج – في الفالوذج واللوزينج (اللوزينج : نوع من الحلواء شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز (المنجد) ـ أما الفالوزج : فهي حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل) في أيهما أطيب ؟ فقال أبو يوسف : أنا لا أحكم على غائب، فأمر الرشيد بإحضارهما، وقدما بين يدي أبي يوسف فجعل يأكل مِنْ هذا مرة ومِنْ هذا مرة حتى نصِف الإناءين، ثم قال يا أمير المؤمنين، ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لأحدهما أتى الآخر بحجته...

✦ قال رجل نحوي لابنه : إذا أردت أن تتكلم بشيء فأعرضه على عقلك، وفكر فيه بجهدك، حتى تُقَومه، ثم أخرج الكلمة مُقَّومة، فبينما هما جالسان في الشتاء والنار تتّقد، وقعت شرارة في جبته وهو غافلٌ عنها، والابن يراه فسكت ساعة يفكر، ثم قال يا أبتِ، أريد أن أقول لك شيئاً أفتأذن لي فيه؟ قال أبوه : إن حقًا فتكّلم، قال : أراه حقًا، فقال : قل. قال إني أرى شيئًا أحمر على جبتك، قال : ما هو؟ قال : شرارة وقعت على جبتك، فنظر أبوه إلى جبته وقد احترق منها جزء كبير، فقال للابن : ولَم لَمْ تُعلمني به سريعًا؟ قال: فكرت فيه كما أمرتني، ثم قَوَّمت الكلام وتكلمت به، فنهره وقال له: لا تتكلم بالنحو أبداً ...

✦ سأل رجل فقيهاً ـ فيه غفلة ـ فقال له : أيجوز أن يتزوج المرأة ابنها؟ فقال له: في ذلك تفصيل : إن كانت بكرًا جاز، وإن كانت ثيبًا لا يجوز،

فقال : ما سمعت هذا التفصيل أبدًا...

✦ جاء بنان الطفيلي إلى وليمة فأُغلق الباب دونه فاكترى سُلمًا ووضعه على حائط صاحب الوليمة فأشرف على عياله وبناته فقال له الرجل : يا هـذا أما تخاف الله؟ رأيت أهلي وبناتي، فقال الطفيلي : يا شيخ " لقد عَلِمْت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد " فضحك الرجل، وقال له: انـزل فكل...

مختارات أدبية

✦ القاضي بكارُ بن قتيبة الثّقفي:

قال أبو حاتم ابنُ أخ بكار بن قُتيبة : قَدم على عمـي رجلٌ من البصرة له علمٌ وزهادة ونَسْكٌ، فأكرمه وقرَّبه وأدناه، وذكر أنه كان معه في المكتب.

ومضت به الأيام، فجاء في شهادة ومعه شاهدان من شهود مصر، فما قَبِل عمي شهادته.

فقلتُ لعمي : هذا رجلٌ زاهدٌ وأنت تعرفه !! ..

قال : يا ابنَ أخي ما رَدَدْتُ شهادتَه إلا أنا كنَّا صِغارًا وكنَّا على مائدةٍ عليها أرز وفيه حلوى، فَنَقبْتُ الأَرُزَّ بإصبعي، فقال لي " أخرقتها لتُغرق أهلها؟ ". فقلت له : أتهزأُ بكتاب الله تعالى على الطعام ؟! ثم أمسكت عن كلامه مدةً، وما أقدِرُ على قبوله وأنا أذكرُ ذلك منه ...

من وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٢٨١ ... وأقول : فليتعِظ الذين يستشهدون على الموائد بقوله تعالى : " وللآخرة خيرٌ لك من الأولى " يريدون من الآخرة الفاكهة، والأولى الطعام الأول. وهذا لا يجوز والأمثلة كثيرة ... .

✦ وصف الكتاب : قيل للإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله : إنك تُكثر الجلوسَ وَحْدَكَ !...

فغضب وقال : أنا وحدي !... أنا مع الأنبياء والأولياء والحكماء والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ثم أنشد هذه الأبيات ـ وهي لمحمد بن زياد الأعرابي :

ولي جُلساء ما أملُّ حديثهم

أَلِبَّاءُ مأمونونَ غَيْبًا ومَشْهدًا

إذا ما اجتمعنا كان حُسْنُ حديثهم

مُعينًا على دَفْع الهُجوم مُؤيِّدا

يُفيدُونني من علْمِهم عِلْمَ ما مضى

وعقلاً وتأديبًا ورأيًا مُسدَّدا

بلا رقْبةٍ أخشى ولا سُوءِ عِشرةٍ

ولا أتَّقي منهم لسانًا ولا يدا

والقصة من " المفتون به على غير أهله "

لعز الدين الزَّنجاني ص ٤-٥ بشرحه...

✦ وصف الدفتر : نظر المأمون ـ الخليفة العباسيُّ ـ إلى ابنٍ صغيرٍ له، في يده دفترٌ، فقال المأمون : ما هذا الذي بيدك؟!... فقال : بعض ما تُسجَّلُ به الفِطْنة، وينبه من الغفلة، ويُؤْنِس من الوحشة!.. فقال المأمون : الحمد لله الذي رزقني من ولدي من ينظرُ بعين عَقْله أكثرَ ما ينظرُ بعين جسمه وسِنِّه ..

من الأذكياء ـ ابن الجوزي ـ ص ٢٣٥

✦ الخط والكتابة : مما قيل في الخطِّ : القلم أحدُ اللسانين، وقيل لنصر ابن سيار : فلان لا يخطُّ ! قال : تلك الزَّمانة الخفية (هي العاهة التي لا تظهر آثارها على المصاب بها، وذلك لأنها ليست مرض حقيقي).

وقال ابن التوأم : خطُّ القلم يقول بكل مكان، وفي كل زمان، ويترجمُ

إلى كل إنسان، ولفظ الإنسان لا يُجاوزُ الآذان، ولا يعُّم الناسَ بالبيان ــ وقيل : الخطُّ لسانُ اليد، وهو أفضل أجزاء اليد ...

وقال إسماعيل : عقول الرجال تحت أسنان أقلامها وقال جعفر بن يحيى البرمكي : الخطُّ سِمْط الحِكَم (السِمْط : الخيط ينظم به حبات العِقْد أو السُّبْحة مثلاً ــ فالحِكَم كقِطَع اللؤلؤ تنظم بالخيط) به تُفصَّل شُذورها (قطعها الذهبية) ويُنْظم منثورها .

وقال بشر بن المعتمر : القلب معدِن (المعدِن مَنبِت الجواهر من ذهب ونحوه) والعقل جوهر، واللسان مستَنْبِط (مستخرجٌ للجواهر من معادنها) والقلم صائغ، والخطُّ صيغته.

وقال مسلم بن الوليد : الخطُّ هو المقيَّدُ للباقين حِكَم الماضين، والمخاطِبُ للعيون بسرائر القلوب.

من كتاب " ألف ياء " البَلَويّ ١/ ٧٨

✦ نصائح ومواعظ:

قال عمر بن العزيز : من تعبّد بغير علم كان ما يُفسدُ أكثر مما يُصلِح، ومن عَدَّ كلاَمه من عمله قلَّ كلامُه إلا فيما يَعْنيه، ومن جعل دينه غرضًا (هدفًا) للخصومة كَثُرَ تَنقلُّه ...

من سنن الدارمي ١ / ٩١ ...

وقال ابنُ شِهاب الزُّهريُ : ما عُبِدَ الله بشيء أفضلَ من العلم ...

من تذكرة الحفاظ ص ١١٢ ...

وقال الإمام أبو حنيفة : لو لم يكنْ مِن صفة الدنيا إلا أن الحقَّ يُعْصى فيها، لكفى في بَعْضِها ... من الكواكب الدُرِّيَّة المناوي ١ / ١٧٦.

وقال أبو سعيد الخِراز : إذا بكتْ أعينُ الخائفين فقد كاتبُوا الله بدموعهم ... من الكواكب الدرية ١ / ١٩١.

وقال أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري : من خَدَم المحَابر خَدَمتْه المنابر ... من ذيل طبقات الحنابلة ١ / ١٩٤.

يقال : إن مِنْ بركة العلم، أن تضيف الشيء إلى قائله ... جامع بيان العلم ـ ابن عبد البر ج٢ / ص ٨٩.

قال معاوية رحمه الله : ما رأيت سرفًا قطُّ، إلا وعلى جانبه حقٌّ مضيع... البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ج ٣ / ص ٢١٧.

✦ من عاشر العلماءَ يُكْرَم : ـ

رأيتُ الطِّين في الحمَّام يومًا
بكفِّ الحِبِّ أثرَ ثم نَسَّمْ[1]
فقلتُ له : أمِسْكٌ أم عبيرٌ
لقد صيرتني بالحِبِّ مُغْرَمْ[2]

---

(١) الطين في الحمام : يريد به ما يُسمى عند أهل حلب : بَيْلون بَورْد. الحِبُّ: المحبوب. نسمَّ : أعطى رائحة طيبة.
(٢) المُغرَم : الشديد الحب.

أجابَ الطينُ أني كنتُ تُرْبًا

صَحِبتُ الوَرْدَ صيَّرني مُكرَّمْ

أَلِفْتُ أكابرًا وازدّدْتُ عِلْمًا

كذا مَنْ عاشرَ العلماء يُكْرَمْ[١]

✦ غفر الله له إن شاء الله :

ذكر ابن كثير في تاريخه أن أبا نواس الشاعر رآه بعض أصحابه في المنام فقال له : ما فعل الله بك؟ قال : غفر لي بأبيات قلتها في النرجس وهي:

تفكَّر في نبات الأرض وأنظرْ

إلى آثـار ما صنعَ المليـــكُ

عيـونٌ من لجينٍ شاخصـاتٌ

بأبصار هي الذهب السبيكُ

على قصبِ الزبرجدِ شاهداتٌ

بأن اللَه ليس له شريـــكُ...

✦ لا يملأُ بطنه : قدم عبد الله بن عدي من العراق، فجاء إلى ابـن عمر رضي الله عنهما، فسلَّم عليه، وقال : أهديت لك هدية، قال : وما هي؟ قال: جوارش، قال : وما جوارش؟. قال : يُستعمل لهضم الطعام، قـال رضي الله عنه؟ أبعده عني، فما ملأت بطني منذ أربعين سنة ...

---

[١] الأبيات أصلها باللغة الفارسية. نظمها باللغة العربية العلامة الكبير الشيخ بشير القَزِّي الحلبي المولود ١٢٧٤هـ، والمتَّوفى سنة ـ ١٣٣٩ ـ رحمه الله تعالى...

الجناس

قال أحدهم :

نديمتي جاريةٌ ساقية ... ونزهتي ساقية جارية
جاريةٌ أعينها جنَّــة ... وجنة أعينها جاريــة

وقال آخر:

يا خالق الخلق حملتَ الورى ... لمـا طغـى الماءُ على جاريـة
وعبدك الآن طغى مــــاؤهُ ... في الظهر فاحمله على جارية

وقال البُستي :

يا مَنْ أعادَ رميم المجد منشـــورا ... وضم بالرأي أمرًا كان منشـــورا
أنت الأميرُ وإن لم تؤت منشورا ... والأمر بعدك إن لم تؤتمن شورى

وقال آخر :

عَبرْتُ بالأمس على حائك ... كالبدر في كفيِّه ماسورة
فلم أرحُ إلا وروحي بمـــا ... عاينت في كفِّه ما سورة

وقال ابن الوردي :

قال لي اللاَّحي : أما حـانَ أن ... تترك لوما متعبا قلت : حــــان
قال : فهل قلبك حـان علــى ... مَنْ بتَّ مشغوفًا به قلت : حــان
قال : فمحبوبك في قتـل منْ ... يهواه حان في قوسه قلت : حان
قال : فقل لي ما لذي تشتهـي ... حان غناء أو غِنى قلت : حـــان

وقال آخر :

إن كنْتَ ترغب في الحبيب وقربه ... فاصبر على حكم الرقيب وداره
إن الرقيب إذا صبرت لحكمه ... أدناك من مثوى الحبيب وداره

وقال آخر :

إن ترْمِك الغربةُ في معشر ... توطأ وافيك على بُغْضهمْ
فدارهم مادُمت في دارهم ... وأرضْهم مادمتَ في أرضهمْ

وقال آخر :

قلت للقلب: ما دهاك أجبني ... قال لي : يا نُع الفَرَاني فَرَاني
ناظراه فيما جنى ناظراه ... أودعاني أمت بما أودعاني

وقال أبو نصر محمد بن عبد الله الزجاجي :

نفس الفتى إذا أصلحت أحوالها ... كان إلى ربع التقى أحوى لها
وإن تراها سددت أقوالها ... كان على حمل العُلى أقوى لها
فلو تبدت حال من لَها لَها ... في قبره عند البلاء لَها لها

وقال البُّستي :

يا أيها السائل عن مذهبي ... ليقتدي فيه بمنهاج
منهاجي العدل وقمع الهوى ... فهل لمنهاجي من هاجي

وقال الأمير أبو الفضل عبد الله بن محمد الميكالي :

كبتُ إليه أستهدي جوابا ... فقابلني بوعدي في الجوابِ
ألا ليتَ الجوابَ يكون خبرًا ... فيشفي ما أحاط من الجوى بي

وقال المطوعَي :

لا تعرضنَّ على الرواة قصيدةً ما لم تبالغ قبل في تهذيبها
فمتى عرضت الشعر غير مهذب عدَّوه منك وساوسًا تهذي بها

وقال البُّستي :

إذا مَلِكٌ لم يكن ذا هِبه فدعْه فدولته ذا هبه

وقال أيضًا :

أفدي الذي نادمني ليلةً راحًا وقد صُنّت أباريقُه
سألتُ وردًا فأبى خده ورمْتُ راحًا فأبى ريقُه

وقال آخر :

تفرقَّ قلبي في هواه فعنده فريقٌ وعندي شيعةٌ وفريق
إذا ظمئت نفسي أقول له اشفني فإن لم يكن لديك راحٌ لديك فرِيقُ

وقال ابن الوردي :

دهرنا أمسى ضنيا باللقاء حتى ضنينا
يا ليالي الوصل عودي واجمعينا اجمعينا

وقال آخر :

يا من إذا ما أتاه أهل المودة أوْلمْ
إني مُحِبُّك حقًا إن كنت في القوم أو لمْ

ولآخر :

رب ظبي هويته ينتمي للهوازنهْ
قلت ما أثقل الهوى قال ما للهَوى زنَهْ



ولآخر :

إن كتمتُ الهوى فقد — صار سِّري علانية
لسقــــام أذابنـــــي — وشحوبٌ علانيـة

وقال آخر :

يا من يُضيِّع عمـــــرَه — متماديًا في اللهو أمْسك
واعلم بأنك لا محالــة — ذاهبٌ كذهاب أمْسِك

وقال ابن نباته :

أكاتبكم يا أهل ودِّى وبيننــــا — كما حكم البين المُشِّتُ فراسِــخُ
فأما منامي فهو عندي مشـــرَّدٌ — وأما الذي في القلب منكم فراسِخُ

وقال آخر :

وشـادن قلت لـــه — هل لك في المنادمـــهْ
فقال كم من عاشق — سفكتُ في المُنى دمَهْ

ولآخر :

أهوى رشأً أسمعنـــي القانونـا — من حاجبه الأزِّج ألقى نُونــا
أقسمتُ بمَنْ في اليمِّ ألفى نونا — أعيى مرضي لُقْراطَ والقانونـا

وقال آخر :

اقنعْ فما تبقى بلا بُلْغـــةٍ — فليس ينسى ربُّك النَمْلةْ
إن أقبل الدهر فقُمْ قائمًا — وإن تولَّى مُدبِرا نَمْ لَـهْ

وقال آخر :

مات الكرام وولّوا وانقضوا ومضوا ... عنّا وقد ذهبتْ تلك الكراماتُ
وقد رقمنا إلى قوم لا خلاق لهم ... لو عاينوا طيف ضيف في الكرى ماتوا

وقال آخر :

أيها البدر الذي يجلو الدُّجى ... قُلْ لنجمي في الهوى كم تحترِقْ
أنا من جملة أحرار الهوى ... غير أنّي من هواكم تحت رقْ

وقال آخر :

يا مَنْ سخطتُ على الدنيا لفرقته ... أساخطٌ أنت عني اليوم أم راضي
أمرضت بالهجر قلبي المستهام فما ... عليك بالوصل لو داويت أمراضي

وقال النواجي :

انهض أخي وبادرْ ... إلى سماع كَمَنْجا
فليس من صدَّ عنها ... وراح عنّا كمن جا

ولآخر :

جامع الناس في المحاسن ... وخلِّ المزاحمةْ
وتصافح وقل لمن ... يتعاطى المُزاح مَهْ

وقال المنصوري :

وأهيفٍ إن غضبتُ منه ... خاطبني بالرضى ولا فظّ
يقابل البُعْد بالتداني ... فلا غليظًا يرى ولا فظّ



وقال الميكالي في خطيب :

شرح المنبر صـــدرًا　　　لتلَّقيــك رحيبــا
أترى ضمَّ خطيبًــا　　　منك أم ضُمِّخ طيبا

وقال آخر :

صدق الحبيبُ بوصْلِــه　　　فجفا رقادي إذ صـدَفْ
ونثرتُ لؤلؤ أدْمـــعٍ　　　أضحْى لها جَفْني صَدَفْ

وقال المنذر بن حبيب :

ما هبَّ نسيمٌ من جنوب وصَبَا　　　إلا إليكم حنَّ قلبي وصَبَــا
لله زمان بين لهو وصَبَــا　　　ولَّى فقد أورث قلبي وصَبَــا

وقال مظفر الأعمى :

وموردَّ الوجنات معول اللَّمى　　　سبحان من جمع المحاسن فيــه
دبَّ العذار بعارضيّه كأنــه　　　نَمْلٌ سَعى لحلاوة في فيــه

ولآخر في عوّاد :

فتن الأنام بعوده وبشدوه　　　شاد تجمعَّت الفضائل فيه
حتى كأن لسانه بيمينــه　　　وكأن ما بيمينه في فيــه

وقال الشهاب محمود :

ولم أرَ مثل نشر الروض لَّمــا　　　تلا قينا وبنت العامــري
جرى دمعي وأومض برق فيها　　　فقال الروض لي ذا العام ري

وقال القيراطي :

قد قلت لَمَّا مرَّ بـي مُعْرِضـا وكفـه يحمـل زَرْزُورا
يا ذا الذي عذبني مَطْلُـه إن لم تَـزُر حقًا فَـزُرْ زوُرا

ولآخر :

ورداحٌ رنتْ فأدمت قلوبـا وثنت عطفها قطاش فتاها
جاء مستسقيًا مُدامة فِيهـا فرأى دُونَها العِطاش فتاها

ولآخر في علي :

محبٌّ قد براه السقـم حتـى غـدا مما يكابـده عليـلا
إذا طلب الوصال لكي يداوي حشاشته يقول له علـي لا

ولآخر :

إن عينا لا تراكمْ دمعها فيه تراكمْ

ولآخر :

مَرَرْتُ بأمردين فقلت زورا مُحبِّكما فقال الأمْـردانِ
أذو مال فقلت وذو سخـاء فقال الأمردان الأَمرُ دانـي

ولآخر :

ودعتهم ورجعت بعد فراقهم ندما أعَضُّ من الفراق أناملي
أما التصبر بعدهم فعدمتـه ومن التشوق والغرام أنا مَلي

ولآخر :

كفيتِ خيرًا يا نـــوى — وكفيتِ من ألم النـــوى
فلقد تَشابِـك عـــالمٌ — لله أخلص ما نـــوى
وعـلا عـــداه فضلـــه — فضل المحبوب على النوًى

وقال أحدهم :

بلاد الله واسعة فضاهـــا — ورزق الله في الدنيـــا فسيـحُ
فقل للقاعدين على هـوانٍ — إذا ضاقت بكم أرضٌ فسيحوا

✦ قصص قوم جرى المثل بأسمائهم :

أ ـ باقل : يضرب به المثل بعيِّه : هو من بني قيس بن ثعلبة، وكان قد اشترى عنزًا بأحد عشر درهمًا فقالوا له : بكم اشتريت العنز؟ ففتح كفيه وفرّق أصابعه وأخرج لسانه يريد أحد عشر، فلما عيروه بذلك قال :

يلومون في حمقه باقـــلاً — كأن الحماقة لم تخلـــقِ
فلا تكثروا العذل في عيه — فلَلعيٌّ أجمل بالأمـــوق
خروج اللسان وفتـــح البنـــان أحبُ إلينا من المنطقِ ...

ب ـ خريم الناعم : هو خريم بن عمرو من بني مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان وابنه عدي بن خريم، وابناه عثمان وأبو الهندام عمارة، وقيل له الناعم، لأنه كان يلبس الخَلْق في الصيف، والجديد في الشتاء...

ج ـ شقائق النعمان : قال أبو محمد : شقائق النعمان منسوبة إلى النعمان بن المنذر، وكان قد خرج إلى الظهر فرأى نبتًا ما بين أحمر وأخضر وأصفر، وإذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير، فقال ما أحسنها آحمُوها، فحُموها، فسميت شقائق النعمان...

د ـ سحبان وائل : هو منسوب إلى وائل باهله، وهو وائل بن معن بن أعصر وكان خطيبًا، فضرب به المثل، قال الشاعر في ضيف نزل به :

أتانا ولم نْعدُّ له سحبان وائل بيانًا وعلمًا بالذي هو قائلُ

فما زال عنه اللقم حتى كأنه من العيَّ لما أن تكلم باقلُ

هـ ـ طفيل : وينسب إليه الطفيليون، هو طفيل من أهل الكوفة من ولد عبد الله بن غطفان بن سعد، وكان يقال له طفيل العرائس، لدخوله الأعراس وتتبعه لها ...

و ـ ندامة الكسعي : هو رجل رمى فأصاب فظن أنه أخطأ فكسر قوسه. فلما عَلِم ندم على كسر القوس، فضرب به المثل، في كل أمر كان فيه ندم...

ز ـ مواعيد عرقوب : كان عرقوب رجلاً من العماليق، فأتاه أخ له يسأله شيئًا فقال له عرقوب : إذا أطلِع نخلي، فلما أطلِع نخله أتاه، فقال : إذا أبلح، فلما أبلح أتاه، فقال : إذا أزهى، فلما أزهى أتاه، فقال : إذا أرطب،

فلما أرطب أتاه، فقال إذا صار تمرًا، فلما صار تمرًا أخذه من الليل ولم يعط أخاه شيئًا، فضربت العرب به المثل في الخلْف، قال الشاعر :

وعدتِ وكان الخلف منكِ سجية   مواعيدَ عرقوبٍ أخاه بيثربِ

ح ـ خفا حنين : كان حنين اسكافيًا من أهل الحيرة، ساومه أعرابي بخفين فاختلفا حتى أغضبه، فأراد أن يغيظ الأعرابي، فلما ارتحل أخذ حنين أحد الخفين فألقاه ثم ألقى الآخر في موضع آخر من طريقه، فلما مرَّ الأعرابي بأحدهما : قال : ما أشبه هذا بخف حنين لو كان معه الآخر لأخذته ومضى، فلما انتهى إلى الآخر ندم على ترك الأول وأناخ راحلته فأخذه ورجع إلى الأول، وقد كمن حنين فعمد إلى راحلته فذهب بها وبما عليها، وأقبل الأعرابي ليس معه غير الخفين فقال له قومه : ما الذي أتيت به؟ قال : بخفي حنين. فضربته العرب مثلاً لمن جاء خائبًا...

ط ـ عطر منشم : قد اختلفوا في منشم، وأحسن ما سمعت فيه أنها امرأة كانت تبيع الحنوط في الجاهلية، فقيل للقوم : إذا تحاربوا دقوا بينهم عطر منشم، يراد طيب الموتى...

ي ـ حمام منجاب : ينسب إلى منجاب بن راشد الضبي، ولهج الناس بذكره لقول الشاعر :

يا رُبَّ قائلةٍ يومًا وقد تعبت   كيف الطريق إلى حمام منجابِ

طرائف

✦ قال إسحاق الأزرق، قال رجل للأعمش : كيف بِتَّ البارحة : قال: فدخلَ، فجاءَ بحصير ووسادة، ثم استلقى، وقال : كذا...

✦ قال أشعب : رأيت في النوم، كأني أحملُ بَدْرَةً (كيس فيه عشرة آلاف درهم)، فمن ثِقلها أحدثتُ، فانتبهتُ، فرأيتُ الحدثَ، ولم أرَ البدرة...

✦ قيل لأبي الغيناء : بَقي مَنْ يُلقى؟...

قال : نعم، في البئر...

✦ قال علي بن الحسين الرازي : مرَّ بُهْلول بقومٍ في أصل شجرةٍ، فقالوا: يا بُهْلول، تصعدُ هذه الشجرة وتأخذ عشرة دراهم؟ فقال : نعم... فأعطوه عشرة دراهم، فجعلها في كُمِّه، ثم التفت إليهم فقال : هاتوا سُلَّمًا... فقالوا : لم يكن هذا في شرطنا !! قال : كان في شَرْطي...

✦ قال محمدُ بنُ سكرة : دخلتُ حمامًا وخرجتُ وقد سُرِق مداسي، فعدتُ إلى داري حافيًا وأنا أقول :

إليك أذمُّ حمامَ بن موُسى ... وإن فاق الُمنى طِيبًا وحَرًّا

تكاثرتِ اللصوصُ عليه حتى ... ليحْفى من يُطيف به ويُعْرى

ولم أفقِدْ بـه ثوبًا ولكن ... دخلت محمدًا وخرجتُ بِشرا

بِشرًا : يريد بشر الحافي، وهو من أصحاب الحديث، والمعنى أنه دخل الحمام ففقد نَعْلَيه فخرج حافيًا...

اشترى أعرابيٌّ غُلامًا، فقيل له : إنه يبولُ في الفِراش، فقال : إن وجد فراشًا فلْيَبُلْ فيه...

✦ قال بشر بن حجر : انقطع إلى أبي علقمة غلامٌ يخدمُهُ، فأراد أبو علقمة البكور في حاجة، فقال : يا غُلامُ، أصقعت العتاريف (صقع الديك، صاح. والعتاريف : جمع عُتْروف وعِتْريف، وهو الشديد من الجِمال، وكذلك الدِّيك)...؟ فقال له الغلام : " زقفيلم " ... قال أبو علقمة : وما " زقفيلم "؟ قال... وما العتاريف؟ قال تعني هل صاحت الديوك ؟... قال زقفيلم أي: ما صاح منها شيء بعد...

✦ قيل لرجُلٍ ركب في البحر : ما أعجب ما رأيت؟

قال : سلامتي ...

✦ نظر رجلٌ إلى أخوين لأب وأم، أحدهما جميل والآخر قبيح، فقال ما أمُّكما إلا شجرة، تحملُ سنة موزًا وسنة عَفْصًا (العَفْصُ : اسم لشجر منتشر في لبنان وسورية يُعدُّ نوعًا من شجر البلوط)...

✦ رأى بعضهم شيخًا قد انحنى فقال : يا شيخ بكم القوسُ؟ فقال : إن عِشت أخذته بلا شيء...

✦ ذكر أبو يوسف القزويني أن رجلاً كان يقال له هُذيل بن واسع، يزعم أنه من ولد النابغة الذبياني ادعَّي النبوة، وزعم أن الله أوحى إليه ما يعارض به الكوثر، فقال له رجل أسمعْني ! فقال : " إنا أعطيناك الجواهر، فصلِّ لربك وهاجر، فما يُؤذيك إلا فاجرْ "، فظهر عليه القسريُّ فقتلَه وصَلَبه، فجر عليه الرجل فقال : " إنا أعطيناك العمود، فصلِّ لربك من قعود،

بلا ركوع ولا سجود، فما أراك تعود ...".

✦ وادعَّى رجل النبوة في أيام المأمون، فأحضره المأمون وقال له : ما دليل نبوَّتك؟ قال أنا أعلم ما انعقد عليه ضميرُك. فقال : ما هو؟ قال : في نفسك – أصلحك الله – أني كاذب، فضحك منه وتركه...

✦ وأُتي المعتصم برجل ادعي النبوة. فقال: ما آيتك؟ قال آية موسى، قال : فألقِ عصاك تكن ثعبانًا مبينًا؟ قال حتى تقولَ : أنا ربّكم الأعلى....

وادعَّى آخرُ النبوة بالكوفة، فأُدخل على واليها، فقال : ما صناعتك؟ قال: حائك، قال : نبيٌّ حائك؟!... قال : فأردت نبيًا صيرفيًا؟.. الله يعلم حيثُ يجعلُ رسالته....

✦ قال الأصمعي : قيل لطُوَيْسٍ ت ٩٢هـ ـ ما بلغ مِنْ شُؤْمِك؟ قال : وُلدْتُ يوم تُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفُطِمتُ يوم تُوفي أبو بكر، وخُتِنتُ يوم أن مات عُمر، وراهقتُ يوم قُتِل عثمان، وتَزَوَّجتُ يوم قُتِل عليٌّ، وَوُلِدَ لي، يوم قُتِل الحُسين... (وفيه المثل : أشأمُ من طُويْس ... لذلك...)

✦ قال يموتُ بنُ المزرع : قال لي سهلُ بنُ صدقة، وكانت بيننا مداعبة: ضربك الله باسمك ... فقلت له مسرعًا : أحوَجك الله إلى اسم أبيك...

✦ وقال عبد الرحمن بن مخلَّد دفعتْ امرأة إلى رجلٍ يقرأ عند القبور رغيفًا وقالت : اقرأ عند قبر ابني. فقرأ ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ (سورة القمر ٤٨) فقالت له هكذا يُقرأ عند القبور؟...فقال

لها: فأي شيء أردتِ برغيف؟ ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٍۚ﴾ (سورة الرحمن ٥٤) ؟ ذاك بدرهم...

✦ حضر خياطٌ عند بعض الأتراك، ليُفصِّلَ له قِباءً، فأخذ يُفصِّلُ والتركيُّ ينظر إليه، فما أمكنه أن يسرق شيئًا، فضرط، فضحك التركيُّ حتى استلقى، فأخرج الخيَّاط من الثوب ما أراد، فجلس التركيُّ فقال : يا خياط، ضرطةً أخرى!!... فقال : لا يَجُوز يضيق القِباء...

✦ رمى رجلٌ عصفورًا فأخطأه، فقال له رجل : أحسنت... فغضِب وقال: تهزأ بي؟

قال : لا، ولكن أحسنتَ إلى العصفور ...

✦ قيل لرجل : تحفظُ القرآن، قال : نعم، قالوا : ما أول الدخان (سورة الدخان) قال : الحَطَبُ الرَّطبُ.

✦ صلىَّ رجلٌ صلاةً خفيفةً فقال له الجمَّاز : لو رآك الرجّاز (الرجَّاز له أراجيز شعرية ت ٩٠هـ) لسُرَّ بك. فقال : ولِمَ؟ قال : لأن صلاتك رَجَز...

✦ يقول الجاحظ : حدثني المكي، قال : كان رجل يقود أعمى بكِراء، وكان الأعمى ربما عثر العثرة ونكِب النكبة، فيقول : اللهم أبدل لي قائدًا خيرًا منه! قال : فقال القائد : اللهم أبدل لي به أعمى خيرًا منه ...

✦ ولأبي نواس في هجاء بخيل أيضًا :

خان عهدي عمرو وما خنت عهده وجفاني وما تغيرت بَعْده

ليس لي مذ حييتُ ذنبٌ إليه غير أني يومًا تغديتُ عِنْده

✦ ومن أظرف ما روي عن المغفلين من الشعراء أن بعضهم دخل مسجد الكوفة يوم الجمعة، وقد نما خبر المهدي أنه مات، وهم يتوقعون قراءة الكتاب عليهم بذلك. فقال رافعًا صوته : " مات الخليفة أيها الثقلان " فقالوا هذا أشعر الناس، فإنه نعى الخليفة إلى الإنس والجن في نصف بيت. ومد القوم أبصارهم وأسماعهم إليه، فقال مكملاً " فكأنني أفطرت في رمضان " ! فضحك الناس، وصار لهذا الشاعر شهرة في الحمق ...

✦ دخل بعض الهاشميين على الرشيد معزيًا فقال : يا أمير المؤمنين، أحسن الله عزاك، وربك عزَّاك، وأحاله علينا وعليك بخير ورحم فلانًا ـ ولا عرفه قليلاً ولا كثيرًا، فآمر بشيء يا أمير المؤمنين؟ فقال أمير المؤمنين: نعم، آمر أهلك أن يدفنوك، فإن موتك حياة، وحياتك موت!!....

✦ ومن أشهر من نسبت إليه حكايات التطفيل بُنان الطفيلي، وهو عبد الله بن عثمان ويكنّى أبا الحسن، ولقبه بُنان، وأصله قرْوزي وأقام في بغداد، وكان نقش خاتمه " مالكم لا تأكلون "؟. حكي أن رجلاً سأله أن يدعو له فقال : اللهم ارزقه صحة الجسم، وكثرة الأكل، ودوام الشهوة، ونقاء المعدة، وأمتعه بضرسٍ طحون، ومعدة هضوم، مع السعة والدعة، والأمن والعافية....

✦ وقال أحدهم :

سمعت أعمى مرةً قائـــــلاً ... يا قوم ما أصعب فَقْدِ البَصَرْ

أجاب أعورٌ من خَلْفِـــــه ... عنديَ من ذلك نِصْفُ الخَبَرْ



من ثمار القلوب

✦ (سفينة نوح) : قال النبي صلى الله عليه وسلم " إن عِتْرتي كسفينة نوح، مَنْ ركب فيها نجا، ومن تأخَّر عنها هلَك " وأخذ هذا المعنى أبو عثمان الخالديُّ، فقال من قصيدة :

أعـاذِل إن كِساءَ التُّقى كسانية حُبِّي لأهل الكِسـاءِ

سفينة نوحٍ فمَنْ يَعْتلِقْ بحبلهمُ يَعْتلِـــقْ بالنَّجـاءِ

وقد تُضرَب سفينة نوح مثلاً للشيء الجامع، لأن نوحًا حمل فيهما من كلِ زوجين اثنين، كما يُضرَب المثل في ذلك المعنى بجامع سُفْيان، قال الشاعر:

يا طبيبًا منجِّمًا وفقيهـــا شاعرًا شِعرُه غِـذاءُ الـرُّوحِ

فهو طَوْرًا كمثل جامعِ سُفْيا نَ وطَوْرًا يَحْكي سفينة نُوح

✦ (خُطُـوات الشـيطان) : قـال الله تعـالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ (سورة البقرة ١٦٨) قال الزجاج : خُطُوات الشيطان : طُرقُـه التي يسلكها، أي لا تسلكوا الطرق التي يدعوكم الشيطان إليها. وقال غيره : أراد: لا تقتف آثاره. قال الشاعر :

يا نابذًا لوصايـــا إلهِه خلْفَ ظَهــْرِهْ

وتابعًـا خُطُـوات الشيطان في كـلِّ أمــرِهْ

أراك لم تَرَ مَيْتًـــا يَهْوِي إلى قَعْر قبـرِهْ

✦ (كنوز قارون) : يُضرب بها المثل فيما يُستعظم قدره من نفائس الأموال لقوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ (سورة القصص ٧٦) وقرأتُ فصلاً للخوارزميّ من رسائله القديمة : لو كنَّا نعمل على قدْر النّية، لحمْلنا إليك خراجَ فارسَ، وعُشْرَ الأهواز، ودَخْل البَصْرة، وتاجَ كِسْرى، وإكليلَ شِيرِين، وكنوزَ قارون، وعَرْش بِلْقيس.

✦ (دِرَّة عمر) : قال الشعبي. كانت دِرَّةُ عمرَ أهيبَ من سيف الحجّاج. ولمَّا جيء بالهُرمُزان مَلِك خوزستانَ أسيرًا إلى عمر رضي الله عنه، وافق ذلك غيبته عن منزله، فما زال الموكلُّ بالهرمُزان يقتفي أثرَ عمر حتى عثرَ عليه في بعض المساجد نائمًا متوسدًا درَّته، فلمَّا رآه الهُرمُزان قال : هذا والله المُلْك الهنَيء، عَدَلْت فأَمِنتْ فنمتَ ! والله إني خدمت أربعةً من ملوك الأكاسرة أصحاب التِّيجان، فما هِبْتُ أحدًا منهم هَيبتي لصاحب هذه الدِّرَّة.

✦ (سَحْبان وائل) : رجل من باهلة، خطيبٌ بليغٌ يضرب به المثل في الخَطابة والبلاغة وهو القائل :

لقد علم الحيُّ اليمانون أنَّنـي ... إذا قلتُ : أما بعد، أني خطيبهُما

وقال حُميد الأرقط وهو يهجو ضيفًا له، ويُضرب المثل في البيان بسَحْبان وفي العِيِّ بباقل :

أتانا وما داناه سَحْبانُ وائلٍ ... بيانًا وعِلمًا بالذي هو قائلُ

فما زالَ منه اللَّقْمُ حتى كأنه ... من العِيِّ لمَّا أن تكلَّمِ باقلُ

وقال بعض المحدثين :

وعاشقٍ تحتَ رواق الدَّجـــى	أغرى به الحيرة فِقــــــدانُ
أعربَ عن مكنونِ أســـراره	أحوَى لطيف الكَشْح خُمصانُ
كأنَّما يَسْحَب في إثــــره	ذَيلاً من الحكمة سَحْبـــانُ

✦ (ندامة الكُسَعيَّ) : هو محارب بن قيس، ومن حديثه أنَّه كان يرمي إبلاً له، فابصر بنبْعة في صخرة، فأعجبتْه، وقال ينبغي أن تكون هذه قوسًا، فجعل يتعهَّدها ويَرقُبها، حتى إذا أدركت قطعها وجففَّها، فلما جفَّت اتخذ منها قوسًا وأسهمًا، ثم خرج حتى أتى غِرَّةً على موارد حَمِير وَحْش، فكمِن ليلاً فيها، فمرَّ قطيعٌ منها، فرماه فمَرق منه السهم، فَظنَّ أنه أخطأ، ثم لم يزل يفعل ذلك حتى أفنى الأسهم الخمسة في خمسة أعيار، وقد أصابها كلَّها، وهو يظن أنه أخطأها، فأنشا يقول :

أبعد خمسٍ قد حفظتُ عَدَّها	أحمِلُ قوسي فأريد رَدَّهـــا
أخزَىَ الإلهُ لينَها وشدَّهـــا	واللهِ لا تسلَمُ عندي بعدَهـا

ولا أُرجِّـي مـا حييـتُ رِفدَهـــا

ثم عمد إلى القوس فضرب بها حجرًا وكسرها ونام، فلما أصبح نظر إلى الأعيار مصرَّعةً حوله، وأسهمه مضرَّجة، فندم على كسر القَوْس، فشدَّ على إبهامه، فقطعها وأنشأ يقول :

نَدِمْتُ ندامةً لو أنَّ نفسي ... تُطاوعني إذَنْ لقَطْعتُ خَمْسِي

تبيَّن لي سَفاهُ الرأي منـّي ... لَعمر أبيك حتى كَسْرتُ قَوْسِي

وسارت ندامتُه مثلاً في كل نادم على ما جنْته يداه، كما قال الفرزدق لَمَّا طلق امرأته نوار وندم عليها :

نَدِمْتُ ندامةَ الكُسَعي لَمَّا ... غدَتْ مِنِّي مُطَلَّقةً نَوارُ

وكنتُ كفاقئٍ عينْيه جهلاً ... فأصبح لا يُضيء له نهارُ

وكانت جنَّتي فخرجتُ منها ... كآدمَ حين لجَّ به الغِرارُ

وقال آخر :

نَدِمْتُ ندامة الكُسَعيِّ لَمَّا ... رأت عيناكَ ما صنعتْ يداكَ

✦ (أمّ القُرى) :أمَّا في جزيرة العرب فهي مكة، وأمُّ كل أرض، أعظم بلدانها وأكثرها أهلاً كالبصرة، فإنها تسمَّى أمَّ العراق، ومَرد فإنها كانت تسمَّى أم خُراسان، ويقال في كل قرية من أمهات القرى، إذا كانت كبيرة كثيرة الأهل. وأمُّ كلِّ شيء أصلُه، ومنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : أمّيّ، لأنه نسب إلى أمِّ القُرى،وهي مكة، ويقال : بل نسب إلى العرب، أي أصلهم، وكانوا لا يقرءون ولا يكتبون، فقيل لكل من لا يقرأ ولا يكتب أميّ.

✦ (أمُّ القِرَى) : هي النَّار لأن من أوصافها، ما قال صاحب ذات الحلل:

لا بُدَّ مِنها في الشّتا والصَّيف ... لا سيَّما عِنْدَ نُزولِ الضَيْفِ

وأنشدني أبو طالب المأمونيَّ في وصف النار :

أمُّ القِرى عندك أمْ يُوح [1] ... فقد سرى بنورها اللَّوحُ

أمُ ذات قُرْطٍ ذهبي بدا ... يُثيرها في الجوَّ تَلْويحُ

فإنني إخالها في دَنِّها ... جسم لها وهي له روحُ

كأنها الشمس وما نُفضَتْ ... من شَرَرٍ عنها المصابيحُ

✦ (عرش بلقيس) : كما قال الشاعر :

مَطَبخُ داود في نظافته ... أشبَهُ شيءٍ بعرش بِلْقيسِ

ثيابُ طَّباخِهِ إذا اتسَّختْ ... أنقى بياضًا مِنَ القراطيسِ

✦ (أذن الحافظ) : من أمثالهم : للحيطان آذان، أي خَلْفَها من يَسمع ما تقول، قال الطرائفيَّ الأبيوَرْدي :

سَرُّ الفتى من دَمِه إنْ فشى ... فأوْلِهِ حفظًا وكتمانَا

فاحتطْ على السرَّ بكتمانه ... فإن للحيطان آذانَا

---

[1] يُوح من أسماء الشمس، واللوح : الهواء

وأنشدني أبو حفص عمَر بن عليٍّ لنفسه :

وبارِدِ الطَّلعة حاذانــا   واسترقَ السمع فآذانــا
فقلتُ للجُلاَّس لا تَنْبوا   فإنَّ للحِيطان آذانــا

ومن الآذان المستعَارة قولُ أبي علي البصِير :

إذا ما شالَ شوَّالٌ عكفنــا   على زقٍّ وباطيــةٍ رَزُومِ
وإن هَمٌّ أطافَ بنا عرَكْنا   بأيدي الكأسِ آذانَ الهُمومِ

ولم أسمع في استعارة الآذان أحسنَ وأبلغ من قول السيد الأمير أدامَ الله علَّوه في رسالةٍ له : والله يُمتِعه بما يمنحه من خصائص هي في آذان الزمان شُنُوفٌ، وفي جِيدِه عقد مرصوفٌ.

✦ (أيدي سَبَا) : من أمثال العرب في التفَّرق، ذهبوا أيْدي سَبَا، أي متفرِّقين، وأصلُه من قصة سبأ والسَّيل العَرِم الذي خرّ بها وفرَّق أهلَها، وفيهم يقول الله عز ذِكره ﴿ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ (سورة سبأ:١٩) ومن أمثالهم : يد الدهر، أي الأبَد. وللشعراء في استعارة اليد تصرُّف كثير، ومن أحسن ذلك قولُ لَبيد :

وغداةِ ريحٍ قد كشفت وقَــرَّةٍ   قد أصبحتْ بيد الشَّمالِ زمامُها

وقول ابنُ المعتزِّ :

سقاها بِعانات خَليــجٌ كــأنَّه   إذا صافحتْه راحةُ الرِّيح مِبْرَدُ

وقوله :

كيف يَبقى على الحوادث حيٌّ　　بيَدِ الدهر عُودُه منحـــوتُ !

✦ (حُمْر النَّعم) : هي كرائم الإبل، يضرب بها المثل في الرغائب والنفائس، فيقال : ما يَسُرّني به حُمْر النَّعم، قال أبو الطيب المتنبي :

*حُمْرَ الحُلَي والمَطايا والجَلابيبِ *

فوصفهنَّ بالأخذ بأطراف الحُسنْ، لأن الذهب أحمر وهو حُليهنَّ، ومطاياهن حُمْر وهي كرائم الإبل، وأثوابُهن حُمْر والحُسن أحمر، قال بشّار :

وإذا دَخلتُ تقنَّعـــي　　بالحُسن إنَّ الحُسنَ أحمرْ

وقلتُ في كتاب المُبهج : قولُ نَعَم، أحسنُ من حُمْر النَّعَم، تحمِل بيضَ النِّعَمْ.

✦ (فرسا رهان) من أمثال العرب في الاثنين يستبقان إلى غاية، فيقال لهما : كفرَسَي رهان، وقال يحيى بن خالد للمَوْصلي : بكّر إلىَّ غدًا، فقال : أنا والصُّبح كفرسَيْ رهان، وممن أحسنَ التمثُّل بهما ابن طباطبا حيث قال :

أتاني منكَ يا خِلِّي كتابٌ　　ألذَّ إلىَّ من نَيْلِ الأمانـــي

كتابٌ حَشْوُه شِعرٌ مُوشَّىً　　بألفاظٍ تُسابِقُها المعانـــي

إذا أصغى لها سمعٌ وفَهْمٌ　　حسبتهما معًا فَرَسَيْ رهانِ

✦ (بيت العنكبوت) : يُضرب به المثل في الوَهَن والضعّف، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾ (سورة العنكبوت ٤١) فَدلَّ بِوَهَن بيته على وَهَن خلقه، ولا أوهَنَ مما ذكر الله أنه أوْهنَ البيوت ! وقد أشار الفرزدق إلى هذا المثل الذي نطق به القرآن حيث قال لجرير :

ضَربتْ عليك العنكبوتُ بنَسْجِها ... وقضى عليك به الكتابُ المُنْـزَلُ

وقال الأحنف :

العنكبوتُ بنَتْ بيتًا على وَهَـــنٍ ... تأوي إليه ومالي مِثْلها وطـــنُ
والخُنفساء لها من جنسِها سكَـــنٌ ... وليس لي مِثلها إلفٌ ولا سكَنُ

وقال آخر :

إنما الدنيا عَنَـــاءُ ... ليس للدنيا ثُبوتُ
إنما الدنيا كبيتٍ ... نسجَتْه العَنكبوتُ

✦ (نَسيْجِ العنكبوت) : قال الحمدونيّ في طَيْلسان ابنِ حرب وهو يضرب المثل بنسج العنكبوت :

يا بن حَرْبٍ كسوتَني طَيْلسانًا ... مَلَّ من صُحبة الزمان وصــدًّا
فحسِبْنــا نسيجَ العَناكب إنْ قيسَ إلى نَسْج طَيْلسانِــك قِدًّا

وقال بعض أهل العصر :

صديقٌ لنا مُذْ ذقتُ طعمَ إخائيـــة ... غصصتُ وقد أربَى على المُرِّ شُهْد

فأضعَفُ من نَسيْج العناكب عهدُه ... وأضيَعُ من نـــار الحباحِـــبِ وُدَّهُ

✦ (وادي النَّمل) : يُضرب مثلاً للمكان الكثير السكـان قال الجاحظ في قولـــه تعـــالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ (سورة النمل آية ١٨).. : أخبر بأنهم بأجمعهم وقفوا على ذلك الوادي، وأنَّ ذلك الوادي معروف بوادي النّمل، فكأنه كان حِمَى، والنّمل ربما أجلَى أمَّةً من الأمم عن بلادهم...

✦ (بيضة الدِّيك) : يُضرب بها المثل للشيء يقع نادرًا ويحدث مرة، فيقال : هذا بيضة الدِّيك، أي لم يجرِ أكثر من مرة، لذلك يضرب المثل بيضة الدِّيك في الشيء يكون مرة واحدة لا ثانية لها، والذي يعطي عطية لا يعود لمثلها، وذلك أن الديك يبيض في عمره مرة واحدة لا يكون لها أخت، وقد تمثل بها بشار، وقد تلَّطف وبَرَّ بمحبوبته، حيث يقول :

يا أحسنَ الناسِ ريقًا غير مُخْتَبرٍ ... إلا شهادة أطرافِ المساويـــكِ

قد زُرْتني في العمر واحـــدةً ... ثنِّي ولا تَجْعَليها بيضة الدِّيـــكِ

أمالي القالي جـ ١/٢٢٨...

✦ (بيضة الإسلام) : هي مجتمعهُ وحَوزتُه، ويقال للجند : حُماة الحَوْزة ورُعاة البَيضة، قال الشاعر يهجو بعضَ الحُكّام :

أبكيَ وأندبُ بيضةَ الإسلام إذ صرتَ تقعدُ مقعدَ الحُكّامِ

إن الحوادثَ ما علمتَ كثيرةٌ وأراك بعضَ حوادثِ الأيامِ

ويقال أيضًا : بَيضة العشيرة، ومنها قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: نحن عشِيرةُ رسول الله وبيضَتُها التي انفقأت عنها، وإنما دارت العرب عنها كما دارت الرَّحَا عن قُطْبها. ومن البيضة المستعارة : بيضَة الحديد، وبيضة العنبر.

✦ (مخّ البعوض) : من أمثال العرب : كلَّفتني مخ البعوضة، أي كلَّفتني ما لا أطيق ولا يوجد ولا يكون، ولم يَذكرِ ذلك أحدٌ من الشعراء إلا ابنُ أحمرِ إذ قال:

كلَّفتني مخَّ البعوضِ فقدْ أقصرتُ لا نُجحٌ ولا عُذرُ

ثمَّ تبعه ابنُ عَروس فقال :

ولو أيقنتُ أنْ سيموتُ قلبي صغيرَ السِّنّ كالرَّشاءِ الغَضيضِ

أبحتُك كُلَّ ما يحويه كفّي ولو كَلَّفْتَني مخَّ البعوضِ...

✦ (خبايا الأرض) : هي الزرع، يُروَى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " التمسوا الرزقَ في خبايا الأرض ". وعن مُصعبَ بن الزبير،

عن عبيد بن شهاب قال : كان عُروة بنُ الزبير يقول لي : ازرَعْ، أمالَكَ أرضٌ ! أما سمعتَ قول الشاعر :

أقولُ لعبد الله لما لقيتُه يسيرُ بأعلى الرَّقْمتين مشرِّقًا

تتبَّع خبايا الأرض وادْعُ مَليكها لعلَّك يومًا أن تُجابَ فتُرزقا...

✦ (خَرَط القتاد) : من أمثال العرب في الأمر دونه مانِع قولهم : من دُون ذلك خَرْط القتاد : لأن شوك القتاد مانع من خَرْطِ ورقِه، وشَوْك القتاد مضروب به المثل في الخشونة والشدَّة، كما قال أبو تمام :

ثَنا خَبَرٍ كأنَّ القلب أمسى يُجَرُّ به على شَوْكِ القتادِ

وخطَب عليٌّ رضي الله عنه يومًا وحث على الجهاد، فقام إليه رجل ومعه أخوه فقال : يا أمير المؤمنين، أنا وأخي كما قال الله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِى﴾ (سورة المائدة آية ٢٥)... فَمُرْنا بأمرك، فوالله لنتهَّين إليه ولو حال بيننا وبينه شَوْكُ القتاد، فدعا لهما بخير.

وفي خَرْط القتاد يقول كعبُ بن حُقيل شاعرُ معاوية :

أرى الشامَ تَكره أهلَ العراقِ وأهل العراق لهمْ كارهينَا

وكلٌّ لصاحِبه مُبْغضٌ يَرَى كلَّ ما كان مِن ذاك دِينَا

وقالوا عليٌّ إمامٌ لنا فقلنا رضينا ابنَ هندٍ رَضينا

ومِن دُون ذلك خَرْطُ القتاد وضَرْبٌ وطعنٌ يُفيض الشئونا

✦ (فرائد الدُّرَّ) : يُضرب مثلاً للمحاسن من النفائس، ويُشَّبه بها الكلامُ الحَسَن والخطُّ الرائق ولابن طباطبا كتابٌ مترجم بـ " فرائد الدُّرَّ " كتب إلى صديقٍ كان قد استعاره يَسترجِعُه منه :

يا دُرَّ رُدَّ فرائدَ الدُّرِّ   وارفُقْ بَعيْدٍ في الهوى حُرِّ

✦ (مرَّ السحاب): يتمثَّل به في السرعة، قال بعض الحُكماء: الفرَص تمرَّ مرَّ السحاب قال الشاعر :

الدهر أقصر مدَّة   من أن يمحَّقَ بالعتابِ

فتغنَّم الساعات منه   فمرَّها مرَّ السحابِ

وقد شبّه به الأعشى مشي المرأة حيث قال :

كأنَّ مِشيتَها من بيتِ جارتِها   مَرُّ السحابة لا ريْثٌ ولا عَجَلُ

✦ (ظل الغمام) : يُضرب مَثَلاً لما لا يدوم بل يُسرِع انقضاؤه، قال كثيرٌ :

وإنيَّ وتَهْيامي بعزَّة بعد ما   تخلَّيتُ عمَّا بيننا وتخلَّتِ

لكالمرتجي ظِلَّ الغمامة كلَّما   تبوَّأ منها للمقيل اضمحلتِ

وقال ابنُ المعتزَّ :

إلا إنما الدنيا كظِّلِ غمامةٍ   إذا ما رجاها المستظِلُّ اضمحلَّتِ

فلاتكُ مِفراجًا إذا هيَ أقبلتْ   ولاتكُ مجزاعًا إذا هي وَلَّتِ

✦ (بَرْقٌ خُلَّب) : يقال له : بَرْقٌ خلَّب، وبَرْقُ خلَّب، قال الشاعر :

" وقولٌ بلا فعلٍ كبارق خُلَّبِ ".

وقال آخر:

لا يكن وَعْدُك بَرْقًا خُلَّبـــا إنَّ خير البرق ما الغيثُ معه

والبرق الخُلَّب هو الذي لا غيثٌ معه، يُضرب مثلاً لمن يُخلِف كما يُخلِف ذلك البَرْق، والخُلَّب من الخلابة. قال الليث عن الخليل البرق الخلب الذي يُومِض ويطمِع في المطر، ثم يَعِد و يُخْلِف.

وللصاحب من رسالةٍ : وعدُه بَرْقٌ خُلَّب، ورَوَغان ثعلب.

✦ (نسيمُ الصَّبا) : الصَّبا مخصوصة من بين الرياح برقَّة النسيم وطِيب الهُبوب، لا نخفاضها عن بَرْد الشِّمال، وارتفاعها من حرَّ الجَنوب، وقد أكثر الناسُ من ذكرها، قال إمرؤ القيس :

" نسيم الصَّبا جاءتْ بَريَّا القَرَنْفُلِ "

وقال ابن طباطبا:

أتاني قريضٌ كنظمِ الجُمـــان ورَوْضِ الجِنان وأمنِ الفــؤادِ

وعهدِ الصِّبا ونسيم الصَّبــا وبردِ الفؤاد وطِيبِ الرُّمــادِ

وقال ابنُ الروميَّ في وصف اللَّوْزينج :

مستكثف الحرَّ ولكنَّـــه أدقُّ جِرْمًا من نسيم الصَّبا

✦ (جَهْد المُقِلّ) : أحسنُ ما سمعت فيه قول الشاعر :

قد بعثْنا إليك أصلحك اللـه بشيءٍ فكنْ له ذا قبْـولِ

لا تَقِسْه إلى نَـدَى كفِّـك الغَمْـرِ وإفضالِكَ الجسيمِ الجزيلِ

واغتفِرْ قِلَّة الهَدِيَّة منِّـي إنَّ جَهْد المُقِلِّ غيرُ قليـلِ

وكتب بعضهم في ذكر قصيدةٍ : هي جَهْد المُقِلِّ، لا دعوى المستقِلِّ...

✦ (ضربة لازب) : يُضـرَب مثـلاً في الشَّـيْ الواجـب الـلاَّزم، قـال البُحتري:

وإذا رأيتِ الهجرَ ضربةَ لازبٍ

يومًا رأيتِ الصَّبرَ ضربةَ لازبِ

فوائد أدبية

✦ أتلحنين وأنت شريفة ؟

الشريف المرتضي في " أماليه " : تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة، فلحنت وهي عند الحجاج، فقال لها : أتلحنين وأنتِ شريفة وفي بيت قيس ؟ قالت : أما سمعت قول أخي " مالك " لامرأته الأنصارية :

منطقٌ صائبٌ وتلحن أحيانًا وخير الحديث ما كان لحنــاً

فقال لها الحجاج : إنما عنى أخوك اللحن في القول، إذا كنَّى المحدث عما يريد، ولم يعن اللحن في العربية، فأصلحي لسانك...

✦ الحرص على العلم :

قال أبوبكر الخطيب في " تقييد العلم " :

قال المبرِّد : نظر أعرابي إلى رجل وهو لا يسمع شيئًا إلا كتبه، فقال : ما تترك تُقارةً إلا انتقرتها، ولا نُماصةً إلا انتمصتها، وإنك لمُلْقَفَهُ الكلمة الشرود ...

✦ من بركة العلم :

قال القرطبي في تفسيره :

فإنه يقال : من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله، وكثيرًا ما يجئ الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهمًا، لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع

على كتب الحديث، فيبقى من لا خبرة له بذلك حائرًا لا يعرف الصحيح من السقيم، ومعرفة ذلك علم جسيم، فلا يقبل منه الاحتجاج به، ولا الإستدلال، حتى يضيفه إلى من خرَّجه من الأئمة الأعلام، والثقات المشاهير من علماء الإسلام...

✦ الطواعين المشهورة في الإسلام :

قال أبو الحسن المدائني كما نقل النووي في " شرح مسلم " كانت الطواعين العظام المشهورة في الإسلام خمسة :

١- طاعون شيرويه بالمدائن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم سنة ست من الهجرة...

٢ - طاعون عمواس في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان بالشام، مات فيه خمسة وعشرون ألفًا، وكان سنة ثماني عشرة.

٣- طاعون الجارف في زمن ابن الزبير في شوال سنة تسع وستين، هلك في ثلاثة أيام، كل يوم سبعون ألفًا، ومات فيه لأنس بن مالك رضي الله عنه ثلاثة وثمانون ابنًا، ويقال : ثلاثة وسبعون ابنًا، ومات لعبد الرحمن بن أبي بكرة أربعون ابنًا...

٤- طاعون الفتيات، لأنه بدأ بالعذارى، في شوال سنة سبع وثمانين بالبصرة وواسط والشام والكوفة.

٥- طاعون في رجب سنة إحدى وثلاثين ومائة، واشتد في شهر رمضان فكان يحصى في سكة المربد في كل يوم ألف جنازة أيامًا، ثم خف في شوال...

✦ فضل الكتابة على الحفظ :

الخطيب في " تقييد العلم " :

قال ذو الرمة لعيسى بن عمر : اكتب شعري، فالكتاب أعجب إليَّ من الحفظ، إن الأعرابي ينسى الكلمة قد سهرت في طلبها ليلة، فيَضَع في موضعها كلمة في وزنها، ثم ينشده الناس، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلامًا بكلام...

✦ الزنبور والعصفور الأعمى ..

ابن كثير في " البداية والنهاية :

حُكي عن الشيخ الصالح عز الدين عبد العزيز بن عبد المنعم ابن الصقيل الحراني (٥٩٤ - ٦٨٦هـ) أنه قال : كنت مرة بقليوب (من قرى مصر) وبين يدي صبرة قمح، فجاء زنبور فأخذ حبة واحدة ثم ذهب بها، ثم جاء فأخذ أخرى ثم ذهب بها، ثم جاء فأخذ أخرى، أربع مرات، فاتبعته فإذا هو يضع الحبة في فم عصفور أعمى بين تلك الأشجار التي هناك ...

✦ فصاحة الحجاج ...

قال الأصمعي : أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشعبي وعبد الملك بن مروان والحجاَّج بن يوسف وابن القرِيَّة... والحجاج أفصحهم. وقال مالك بن دينار : ما رأيت أحدًا أبين من الحجاج، إنه كان ليرقى المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق وصفحه عنهم وإساءتهم إليه حتى إني لأحسبه صادقًا وأظنهم كاذبيين...

✦ الأعراب لا يعرفون الاصطلاحات ولا تقعيد النحاة...

قيل الأعرابي : أتهمز إسرائيل ؟

قال : إني إذًا لرجل سوء.

قيل له : أتجر فلسطين ؟

قال : إنيّ إذًا لقوي.

قيل له : أتهمز الفأرة ؟

فقال : الهرَّةُ تهمزها.

وقال خلف : قلت لأعرابي : ألقي عليك بيتًا ؟

قال : على نفسك فألق.

✦ علامة الحمق :

قال محمد بن حبيب النيسابوري :

تقول العرب : فلان من فرطَ ثطاته لا يعرف قطاته من لطاته. أقول : هو في " مجمع الأمثال " للميداني، والثطاة (ويقال : الثطاة والرطاء) هي الحمق، والقطاة : مقعد الرديف من الفرس، واللطاة : الجبهة، وهذا مثل يضرب للأحمق. أي : إنه لحمقه لا يعرف مقدمه من مؤخرة.

✦ استعارة الكتب :

جاء رجل إلى رجل يستعير منه كتابًا فأعاره وقال له : لا تكن في حبسك (الكتاب) كصاحب القربة!! قال: لا، ولاتكن في ارتجاعك (الكتاب) كصاحب المصباح!! قال: لا.

وكان من حديث هذين أن رجلاً استعار من رجل قربة على أن يستقي فيها مرة واحدة ثم يردها، فاستقى فيها سنة ثم ردها إليه منخرقة.

وأما الآخر فإن رجلاً ضافه ضيف من النهار فاستعار من جار له مصباحًا ليسرجه لضيفه في الليل، فلما كان بعد ساعة أتاه وطالبه برده، فقال له: أعرتني مصباحًا لليل أو للنهار ؟ قال : لليل، قال : فما دخل الليل ؟

✦ المادُبة والمأدبة :

قال القرطبي في تفسيره : قال أبو عبيد في غريبة (غريب القرآن) عن عبد الله بن مسعود : إن هذا القرآن مأدبة الله عز وجل، فمن دخل فيه فهو آمن.

قال : وتأويل الحديث أنه شبه القرآن بصنيع طعام صنعه الله عز وجل للناس، لهم فيه خير ومنافع، ثم دعاهم إليه. يقال : مأدُبة ومأدَبة، فمن قال: مأدُبة أراد الصنيع يصنعه الإنسان فيدعو إليه الناس، ومَنْ قال : مأدَبة، فإنه يذهب به إلى الأدب يجعله مفعلة من الأدب، ويحتج بحديث الآخر : " إن هذا القرآن مأدَبة الله عز وجل فتعلموا من مأدَبته. وكان الأحمر يجعلها لغتين لمعنى واحد، ولم أسمع أحدًا يقول هذا غيره والتفسير الأول أعجب إليَّ.

روائع من الأدب العربي

✦ ذكاء الإمام أبي حنيفة وحسن جوابه :

قصد رجل أبا حنيفة رحمه الله، فقال له : ما تقول في رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف من النار، ولا يخاف الله تعالى، ويأكل الميتة ويصلي بلا ركوع ولا سجود، ويشهد بما لم يره، ويبغض الحق، ويحب الفتنة، ويفر من الرحمة، ويصدق اليهود والنصارى ؟

فقال أبو حنيفة للرجل ـ وكان يعرفه شديد البغض له ـ ياهذا سألتني عن هذه المسائل، فهل لك بها علم ؟ قال الرجل : لا. فقال أبو حنيفة لأصحابه : ما تقولون في هذا الرجل ؟ قالوا : شر رجل، هذه صفات كافر. فتبسم أبو حنيفة، وقال لأصحابه، هو من أولياء الله تعالى حقًا. ثم قال للرجل: إن أنا أخبرتك أنه من أولياء الله فهل تكف عني أذاك، وسوء لسانك؟ قال : نعم. قال أبو حنيفة : أما قولك لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، فهو يرجو رب الجنة ويخاف رب النار. وقولك : لا يخاف الله، فإنه لا يخاف الله تعالى أن يجور عليه في عدله وسلطانه ، قال تعالى : " وما ربك بظلاَّم للعبيد". وقولك : يأكل الميتة فهو يأكل السمك... وقولك : يصلي بلا ركوع أو سجود، أراد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أو صلاة الجنازة ... وقولك : يحب الفتنة، أراد أنه يحب المال والولد، قال تعالى : " إنما أموالكم وأولادكم فتنة..." وقولك : يفر من الرحمة، أراد أنه يفر من المطر وهو غيثٌ ورحمة. وقولك : يصدق اليهود والنصارى، أراد قوله تعالى عنهم : " وقالت اليهود ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء..." فقام الرجل وقبَّل رأس الإمام أبي حنيفة، وصار من أتباعه...

✦ الأصمعي والجارية :

مرَّ الأصمعي ـ أبو سعيد عبد الملك بن قُريب ـ على حيٍّ من أحياء العرب، فوجد بنتًا صغيرة، قد بلغت خمس سنين أو ستًا، وهي تقول : أستغفر الله لذنبي كلَّه، فقال : يا فتاة مِمَّ تستغفرين ولم يجر عليك قلمٌ ؟ فقالت :

استغفر الله لذنبي كلِّه   قتلتُ إنسانًا بغير حلِه

مثلُ غزالٍ ناعمٍ في دَلِه   انتصف الليل ولم أصُلِه

فقال لها : ما أفصحك !!.

قالت : شيخٌ فاني، وتخالط الغواني !!..

قال : إنما أتعجب من فصاحتك. فقالت : هل ترك القرآن لأحد فصاحة ؟. فقال : نبهيني على أية فصيحة منه. فقالت : اقرأ آية القصص : " وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خفت عليه، فألقيه في اليم، ولا تخافي ولا تحزني، إنا رادّوه إليكِ، وجاعلوه من المرسلين..." الآية.

فقد جمعت الآية، أمرين وهما أرضعيه وألقيه، ونهيين وهما لا تخافي ولا تحزني، وخبرين تضمنا بشارتين وهما إنا رادوه إليكِ وجاعلوه من المرسلين.

أما قولها : قتلت إنسانًا بغير حله، أرادت أنها قتلت نفسها بعدم فعل الطاعات حيث انتصف الليل ولم تقم بين يدي الله تعالى... وفي المحاورة دلالة على عناية المسلمين صغارًا وكبارًا بحفظ كتاب الله ...

لطائف شعرية

من الأشعار:

قال أحد الشعراء في أبي حفصة :

يا أيها الخارج من بيته ... وهاربًا من شدة الخوفِ

ضيفُك قد جاء بزادٍ له ... فارجعْ وكن ضيفًا على الضيفِ

وقال عباس الخيَّاط :

لأبي عيسى رغيفٌ ... فيه خمسونَ عَلاَمَهْ

فعلى جانبه الواحدِ لُقّيت الكرامَهْ

ثمَّ لاذاقك لي ضيفٌ إلى يوم القيامهْ

وعلى الآخر سطرٌ ... نسألُ الله السلامهْ

وقال آخر :

ودعوتني فأكلت عندك لُقمةً ... وشربتُ شُرْبَ من استتَّم خَروفا

وسألتني في إثر ذلك حاجةً ... ذهبتْ بمالي تالدًا وطريفا

فجعلتُ أفكرٌ فيكَ باقي ليلتي ... ما كنتَ تفعلُ لو أكلتخُروفا ؟!

وقال محمود الورَّق :

دجاج أبي عثمان أبعدُ منظرًا ... وأطول أعمارًا من الشمس والقمرْ

فإن نمتُ حتى تفوزَ بأكلها ... حييتُ بإذن الله ما أورق الشجرْ

وقال أبو عبد الله بن الحجاج :

يا ذاهبـًا في داره جائيـًا   بغير معنىً وبلا فائـدهْ

قد جُنَّ أضيافك من جوعهم   فاقرأ عليهم سورة المائدةْ

وقال أبو محمد عبد المحسن الصُّوري :

وأخٍ مسَّهُ نزولي بفَـرْحٍ   مثلما مسَّني من الجوع قَرْحُ

بتُّ ضيفًا له حكم الدهرُ وفي حُكمه على الحُرِّ قُبْحُ

فابتداني يقول وهو من السَّكرة فاضحٌ ليس يصحو

لِمْ تغرَّبتَ ؟ قلتُ : قال رسول الله والقولُ منه نصحٌ ونُجْحُ

" سافروا تغنموا " فقال : وقد قال تمام الحديث " صوموا تصحُّوا "

وقال أحدهم في بخيل، وهو منصور الفقيه :

أتيتُ عمرًا سَحَرًا   فقال : إني صائـمُ

فقلتُ إني قاعـدٌ   فقال : إني قائـمُ

فقلت آتيك غـدًا   فقال : صومي دائمُ

وقال آخر وهو ابن طباطبا :

يجوعُ ضيفُ أبي نوحٍ   بُكرَةً وعشيَّـةْ

أجاع بطنـيَ حتـى   وجدتُ طعم المنيَّةْ

وجاءنـي برغيـفٍ   قد أدرك الجاهليَّـةْ

فقُمـتُ بالفأس كيما   أدُقَّ منه شظيَّـةْ

فتثلَّم الفأسَ وانصاع مثل سهم الرميَّـــــةْ

فشَّــج رأســي ثـلاثـًا ودقَّ مني التنيَّـةْ

وقال أحمد بن كُشاجم :

صديقٌ لنا من أبرع الناس في البخلِ

وأفضلهم فيه وليـس بـذي فضلِ

دعاني كما يدعو الصديقُ صديقَهُ

فجِئتُ كما يأتـي إلى مثله مِثْلـي

فلَّما جلسنا للطعام رأيته

يرى أنه من بعض أعضائه أكلـي

ويغتاظُ أحيانًا ويشتمُ عبدَهُ

وأعلمُ أن الغيظَ والشتمَ من أجلـي

فأقبلتُ أستلُّ الغداءَ مخافةً

وألحاظُ عينيه رقيبٌ على فِعْلـي

أمدُّ يدي سرًا لأسرق لَقمةً

فيلحظُني شَزْرًا فأعبثُ بالبقْلِ

إلى أن جنتْ كفي لخنقي جنايةً

وذلك أن الجوع أعدمني عقلـي

فجرَّت يدي للحين رجْلَ دجاجةٍ

فجـرَّتْ، كما جرَّتْ يدي رجلَها رجلي

وقدَّم من بعد الطعام حلاوةً

فلم أستطعْ فيها أمِرُّ ولا أُحْلـي

وقال بعضهم في بخيل :

رأى " الضيف " مكتوبًا على باب داره
فصحَّفه " ضيفًا " فقـام إلـى السيـفِ
وقُلنا لـه " خيـرًا " فظـنَّ بأننـا
نقول له " خبزًا " فماتَ من الخـوفِ

ويقول أبو الفتح البُستي في رغيف أبي عليٍّ :

رغيفُ أبي عليٍّ حلَّ خوفًا   من الأسنان ميدانَ السِّماكِ
إذا كسروا رغيفَ أبي عليٍّ   بكى يبكي بكاءً فهو باكي

ويقول الأصفهاني المعروف بالخُوري :

رغيفُك في الأمن يا سيـدي   يَحُلُّ محلَّ حمـامِ الحَـرَمْ
فللّـه درُّك مـن سيِّـدٍ   حَرَّامِ الرغيفِ حلال الحُرُمْ

ويقول الحسين بن عبد الرحيم الكلابي :

فتىً لرغيفه قُرطٌ وشَنْـفٌ   وإكليلانِ من خَرْزٍ وشَـزْرْ
إذا كُسِرِ الرغيفُ بكى عليه   بُكا الخنساءِ إذ فُجعت بصخرِ

ولآخر يقول وهو ابن بسَّام :

أتانا بخيلٌ بخبزٍ لـه   كمثل الدراهم في رقتهِ
إذا ما تنفسَّ حول الخِوان
تطاير في البيتِ من خفتِه

وقال وهب بن شاذان :

ماتَ في عرس سليمانَ	من الجُوعِ جَماعَـــةْ
ماتَ أقـــوامٌ وقـــومٌ	عُلِّموا فيه القناعـــةْ
لم يكـــن ذلـــك عرُسًا	إنمَّا كان مجاعَـــــةْ

وقال بعض الوراقين :

رأيتُ يا حمادُ في الصيدِ	أرانبًا تؤخذ في الأيدي
إنَّ ذوي النحو لهم أنفسٌ	معروفة بالمكر والكيدِ
يضرب عبد الله زيدًا وما	يريد عبد الله من زيدِ ؟

وقال ابن الحجاج :

يا صاحبَ البيتِ الذي	ضيفانه ماتوا جميعـــا
أدعوتنا حتى نمـــوت	بدائنا عطشًا وجوعـــا
مالي أرى فلك الرغيف	لديك مشترفًا رفيعـــا
كالبـــدر لا ترجـــو	وقت المساء له طلوعا

وقال أبو نواس يهجو:

رأيت الفضل مكتئبًا	يناغي الخبزَ والسمكا
فقطبَّ حين أبصرني	ونكَّس رأسه وبكـــى

فلما أن حلفتُ لـــه

بأني صائمٌ ضحكـــا

كناشة النوادر

✦ الفَذْلكة :

في القاموس : " فَذْلك حسابه " : أنهاه وفرغ منه، مأخوذة من قوله إذا أجمل حسابه : " فذلك كذا وكذا ". وهذا إشارة إلى أن الكلمة منحوته ومرجع صاحب القاموس هو نصَّ الصاغاني المتوفّى سنة ٦٥٠هـ في التكملة ٥ : ٢٢٧، وبعده في التكملة : " وهذه الكلمة مثل : فهرس الأبواب فهرسة، إلا أن فَذْلك ضاربٌ بعرق في العربية ". وصاحب القاموس والصاغاني كلاهما لم ينصَّ على الفذلكة وإن كان مفهومًا أنها جملة الحساب والعدد .

وذكر المعجم الوسيط " الفذلكة " وفسَّرها بأنها مُجمَل ما فصِّل وخلاصته " وقرنها بعبارة " محدثة "، مع أنَّ الكلمة مولدة توليدًا قديمًا جدًا. فقد وجدتها في الفهرست لابن النديم بمعنى نهاية التأليف وحصيلته. قال في ترجمة أبي عمر الزاهد المتوفى سنة ٣٤٥هـ : " ثم جمع الناس على قراءة أبي إسحاق الطبري وسمَّى هذه القراءة الفذلكة ".

وكانت وفاة ابن النديم أيضًا سنة ٣٨٥هـ، فالكلمة عمرها أكثر من ألف سنة. وليست محدثة كما ذكر المعجم الوسيط.

✦ الإمَّعة والطفيلي :

كان لظهور الإسلام تأثير سريع في تطوُّر اللغة بما أضاف لها من اصطلاحات دينية، واجتماعية وسياسية. ومن باكورات هذا التطوُّر كلمة "

الإمَّعة " وهو الرجل الضعيف الرأي المتهافت، الذي يقول لكل أحد : أنا معك. ولم يكن العرب قبل يعرفون الكلمة بهذا المعنى، وإنما يعرفونها بمعنى الرجل الذي يتبع الناس إلى موائد الطعام من غير أن يُدعى ويرون في ذلك عن عبد الله بن مسعود قوله :

" كنا في الجاهلية نَعُدُّ الإمَّعة الذي يتبع الناس إلى موائد الطعام من غير أن يُدعى، وإنَّ الأَّمعة فيكم اليوم المُحقِب الناسَ دينَه، أي الذي كأنه يضع دينه في حقيبة غيره، فغيرُه هو الذي يوجِّهه في أمور دينه وتقلّبات رأيه.

وتسمية من يتبع الناس إلى الطعام أقدم بلا ريب من تسمية " الطفيلي"، لأن الأمَّعة كلمة جاهلية، يرادفها أيضًا كلمة " الوارش " وهو الذي يدخل على القوم في طعام لم يُدَعَ إليه.

وأما الطُّفيلي فهي كلمة إسلامية بلا ريب ونسبتها إلى رجل كوفّي من بَني عبد الله بن غطفان، كان يدعى طُفيل الأعراس أو العرائس، واسمه طُفيل ابن دلال، كان يأتي الولائم دون أن يدعى إليها، وكان يقول " " لوددت أنَّ الكوفة كلها بركة مصَهْرَجة فلا يَخفى عليَّ شيء منها ". وكان العرب يقولون في أمثالهم :

" أوغل من طفيل " و " أطمع من طفيل "

وكان الشافعي يقول رحمه الله :

ولست بإمَّعة في الرجال أُسائل هذا وذا ما الخبر ؟

وهناك كلمة أخرى موجودة في الفقه هي الفضولي. وهو مَنْ يبيع ما لا يملك.

✦ لغويات :

السِّمنة : بكسر السين لا تعرفها اللغة، وإنما تعرف السِّمَن والسَّمانة. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : " خير أمتي القرن الذي أنا فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهر فيهم قومٌ يُحبون السَّمانة، يشهدون قبل أن يستشهدوا". وتعرف اللغة السُّمنة بضم السين لكن بمعنى الدواء الذي يتخذ للسِّمَن، تُسَمَّنُ به المرأة أو غيرها.

✦ إذا عرف السبب بَطَل العجب :

كلمة عائرةٌ أو مثل شارد، يجري كثيرًا على ألسنة المعاصرين وكأنه وليد اليوم أو نتاج الأمس على حين نجده يضرب بعرق أصيل في القدم إلى نحو تسعة قرون ماضية، أدناها إليها ما جاء في كتاب المرتجل لابن الخشاب المتوفى سنة ٥٦٧هـ، وهو شرح على كتاب الجمل لعبد القاهر الجرجاني، قال في المرتجل ص١٤٥.

" التعجب معنى من المعاني التي تعرض في النفوس ويكون مما خفي سببه وخرج عن نظرائه. وربما عبَّروا عن هذا المعنى بعبارة أخرى هي التعجُّب يكون مما ندَر من الأحكام ولم تعرف علته.

فإن أخلَّ هذا المعنى بأحد الشرطين بطل التعجب. ولهذا قال القائل، وهو قول مستفيض في الناس : " إذا عرف السبب بطل العجب "

✦ الدال اليابسة:

من أغرب ما وجدته في تعبيرات الضَّبط اللغوي المعجمي.

ما جاء في كتاب " تحفة الأبية فيمن نسب إلى غير أبيه" من نوادر المخطوطات ١٠٦/١، يقول مؤلفه الفيروزأبادي في ضبط جحدم، : " بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة، وفتح الدال اليابسة : بدلاً من قوله : " الدال المهملة" كما هو المألوف عند أصحاب المعاجم.

✦ الماهية:

نسبة مأخوذة مِنْ ما هو، أو ما هي؟ وقد شاعت قديمًا على ألسنة المناطقة والمتكلمين، لكن وجدت البيرونيَّ المتوفّى سنة ٤٤٠هـ يقول في كتابه الآثار الباقية ص٥ : " القول على مائية اليوم بليلتها ومجموعهما وابتدائهما". ويقول في نفس الكتاب ص٩ : " القول على مائية ما يركب منها من الشهور والأعوام الباقية "ويقول في نفس الكتاب ص١٣ " القول على مائية التواريخ واختلاف الأمم فيها" ويقول في نفس الكتاب ص٣٦ : " القول في اختلاف الأمم في مائية المسَلِك الملَّقب بذي القرنين وهذه النسبة التي التزمها البيروني في كتابه، هي النسبة القياسية إلى كلمة " ما " كما في شرح الأشموني للألفية ١٩٦/٤ :

يقول ابن مالك:

وضاعف الثاني من ثنائي ثانية ذولين كلاولائي

فيقول الأشموني : " إن كان ألفًا، – يعني ثاني الكلمة – ضعِّفت

وأبدل ضعفها همزة. فيقول فيمن اسمه لا : لائيٌّ . وان شئت أبدلت الهمزة واوًا فقلت لاويٌّ " . فعلى هذا يقال في النسبة إلى ما " مائيٌّ "، و " ماويٌّ " ويقال أيضًا مائية الشيْ وماويَّته.

ويرى – عبد السلام هارون – أن هذه الكلمة أقيس وأضبط وأدقُّ في الاستعمال من الماهِّية في الوظيفة أو المرتَّب المالي في مقابل العمل الذي يُسند إلى العامل. ومن المعروف أن هذه الأخيرة دخيلة مأخوذة من " مَاَهْ " الفارسية بمعنى الشهر.

✦ (نفس الشيء):

يتحرج بعض المتحذلقين في استعمال " النفس " في غير التوكيد، فيقول الشيء نفسه " فقط. وقد ضيقوا بهذا واسعًا، فنفس الشيء : ذاته، تستعمل استعماله، ولا يمنع من ذلك نحو ولالغة.

جاء في كتاب سيبويه ٢٦٦/١ : " وتجري هذه الأشياء التي هي على ما يستحقُّون بمنزلة ما يحذفون من نفس الكلام " . وفي الكتاب أيضًا ٣٧٩/٢ : " وذلك قولك : نزلت بنفس الجبل، ونفسُ الجبلُ مُقابلي، ويقول الجاحظ في الحيوان ٧٦/١ : " ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة".

الحيوان في الشعر

قال ابن خلف الأندلسي:

بَعوضٌ شربْن دمي قهوةً وغنيَّنني بضروب الأغانْ
كأنَّ عُروقي أوتارَهُن وجسمي الرَّبابُ وهُنَّ القِيانْ

وقال السيد أحمد الصافي النجفي :

وبعوضةٍ حطّت على قدمي وغَدَتْ تمصُّ دِماي مَصَّ ضَمِ
أمهَلْتُها حتى ارتوت فهوتْ كفِيٍّ عليها فعل مُنْتَقمِ
كلٌّ شفى من جسم صاحبه غِلاًّ وأطفأ لوعة الضرمِ
أغنيٌّ إنك كالبعوضِ دمي تجْري بجسمك فانتظر نقمي
واعْذره إذا عذر البعوضُ فَلَمْ أسْفِكْ دمًا لك بل سَفكتْ دميَ

وقال ديك الجن يرثي ديكًا لعمير بن جعفر :-

دعانا أبو عمرو عُميرُ بنُ جعفر على لَحْمِ ديكٍ دعوةً بعد دعوةِ
فقدم ديكًا عُدَّ دهرًا ذَمَلَّقًا مؤنِّس أبيات مُؤذِّن مسجدِ
يُحدِّثنا عن قومِ هودٍ وصالحٍ وأغرب ما لاقاهُ عمرو بن مُرشِدِ
وقال لقد سبَّحتُ دَهرًا مهلِّلاً وأسهرتُ بالتَّأذين أعين هُجَّدِ
أَيُذْبَحُ بين المسلمين مُؤذِّنٌ مُقيمٌ على دين النبيِّ محمدِ
فقلت له يا ديكُ إنك صادقٌ وإنك فيما قُلتُ غيرُ مُعَنَّدِ
ولا ذنب للأضياف إن نالك الردى فإن المنايا للدُّيوك بِمَرْصَدِ

وقال ابن نباتة المصري وقد أهدى إليه بعض أصحابه ديكًا :

وصلتنا دُيُوك بِّرك تزهـــو بوجُوُه جميَلةٍ مُستجـــادة

كُلُّ عُرفٍ يروُقُ حُسنًا وإنيّ أرتجي أن تكون عُرْفًا وعادة

وقال بشار بن برد يشيِّب بامرأة اسمها رحمة :

ياقُرَّة العين إنـــي لا أُسَمِّيـــكِ أَكْني بأخْرى أَسَمِّيها وأعنيـكِ

أخشى عليك من الجارات حاسدة أو سهم غيْرانَ يرميني ويرميكِ

يا أطيبَ الناسِ ريقًا غيــر مُختبر إلا شهادة أطـراف المسَاويـكِ

قد زُرْتنا مرَّةً في الدهر واحـــدةً عودي ولا تجعليها بيضة الديكِ

وقال آخر :-

رأيت على صخرة عقربـا وقد جعلتْ ضَرْبها دَيْدَنا

فقلت لها إنها صخـــرةٌ وطَبْعُكِ مـــن طَبعِها ألينا

فقلت : صدقـتَ ولكنَّني أريدُ أعرِّفهـا مَـــنْ أنـــا

وقال أبو الشمقمق :-

يا قومُ إنِّي رأيت الفيلَ بعدَكمُ فباركَ اللهُ لي في رؤيةِ الفيـــلِ

رأيت بيتًا له شـيءٌ يُحرِّكُـهُ فكِدتُ أصنعُ شيئًا في السَّراويلِ

مختارات أدبية

✦ من أغاني ترقيص الذكور:

١- رووا عن أعرابية لم تُرزق على ما يظهر ولدًا، وبقيت تندسب حظها وتتشوق إلى طفل تلاعبه إلى أن رزقها الله بغلام بدَّل بؤسها فرحًا فكانت ترقصه وتقول:

أحبه حُبَّ الشحيح مالَهْ

قد كان ذاق الفقر ثم نالَهْ

إذا أراد بذله، بدا لَهْ

أي أنها تحبه حب الشحيح نال ماله بعد فقر.. العقد الفريد جـ١/٨ أمالي القالي جـ٢/٢٩٤ – المستطرف جـ٢/١٠/٢ ...ص٥٦...

٢- يروي ابن العديم في كتابه " الدراري في الذراري" ص٢٦ : أن امرأة من الأعراب كانت تغني لابنها وهي ترقصه وتقول:

يا حبذا ريح الولدْ

ريح الخزامى في البلد

أهكذا كل وَلَدْ

أم لم يلد مثلي أحد؟

٣- وفي الإصابة أن الشيماء كانت ترقص النبي ﷺ وهو صغير وتغني له:

يا ربنا أبق لنـا محمـــدًا

حتى أراه يافعًا وأمـــردا

ثـم أراه سيـــدًا مســوَّدا

واكبت أعاديه معًا والحُسَّدا

وأعطه عزًا يدوم أبــــدًا

جـ١/١٢٣ - ١٢٤ ..ص ٦٦ ..

✦ من أغاني ترقيص الإناث:

١- رُوي عن الزبير بن عبد المطلب في ابنته ضباعة، أنه كان يرقصها ويقول:

يا حبذا ضباعــةْ

مكرمة مطاعــــةْ

لا تسرق البضاعةْ

لا تعرف الخلاعةْ

.. المنمق - ابن حبيب ص ٤٣٦...ص١٠٠...

٢- وروى الجاحظ في " البيان والتبين" جـ١/١٠٥ ... عن أحد شيوخ الأعراب واسمه أبو حمزة الضبِّي أنه هجر خيمة امرأته، وكان يبيت ويقيل عند جيران له حين ولدت امرأته بنتًا، وكانت المرأة لا ترى داعيًا لهذا

الهجران، فكانت إذا رقَّصت طفلتها غنتها بهذه :

ما لأبي حمزة لا يأتينا

يظلُّ في البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نَلدَ البنينا

تا الله ما ذلك في أيدينا

وإنما نأخذ ما أعطينا

ونحن كالزرع لزارعينا

نُنْبتُ ما قد زرعوه فينا

من شوارد الشواهد

✦ للمتوكل الليثي وهو شاعر إسلامي، كان يمدح معاوية وابنه يزيد في قصيدة يقول فيها :

لا تنه عن خُلُق وتأتي مثله

عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

✦ ولمسكين الدارمي وهو ربيعة بن عامر بن أنيف، قدم على معاوية وسأله أن يغرض له، فأبى، فخرج من عنده وهو يقول :

أخاك أخاك إن من لا أخًا لـه   كساعٍ إلى الهيجاء بغير سلاحِ

وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه   وهل ينهض البازيُّ بغير جناحِ

✦ ولعدي بن زيد العِبادي، ويروى البيت أيضًا لطرفه :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدي

✦ وللمثقب العبدي :

فإما أن تكون أخي بحقٍ   فأعرفَ منك غثِّي من سميني

وإلا فاطرَّحني واتخذني   عدوًا أتقَّيك وتتقيني

✦ ولصالح بن عبد القدوس، من قصيدته الطويلة في الحكم :-

إن القلوب إذا تنافـــر ودهـــا

مثل الزجاجة كسرها لا يشعبُ

لا خير في ودِّ امرئ متملِّـــق

حلو اللسان وقلبه يتلَّهـــــبُ

يعطيك من طرف اللسان حلاوة

ويروغ منك كما يروغ الثعلبُ

✦ وللحريري، من المقامة الشعرية :

مَنْ ذا الذي ما ساء قـطْ ... ومَنْ له الحسنى فقطْ

سامح أخاك إذا خَلَــطْ ... منه الإصابة بالغلــطْ

وتجـافَ عـــن تعنيفـــه ... إن زاغ يومًا أو سقطْ

واعلم بأنك إن طلبـــت ... مهذبًا رمت الشطـطْ

✦ من راقب الناس مات همًا ... وفاز باللذة الجســـــور

سَلْم الخاسر، ابن عمرو بن حماد، سمي الخاسر لأنه باع - كما قـالوا - مصحفًا كان له، واشترى بثمنه طنبورًا، أخذه من قول (أستاذه) بشّاربن برد:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته

وفاز بالطيبات الفاتك اللهجِ

✦ يريد المرء أن يعطى مناه

ويأبى الله إلا ما يشاءُ

لـ قيس بن الخطيم الأوسي، شاعر فارسي قتل على جاهليته، من قطعة له يقول فيها :

وما بعض الإقامة في ديار	يهون بها الفتى إلا بـلاءُ
وبعض خلائق الأقوام داء	كداء البطن ليس له دواءُ
وكل شديدةٍ نزلت بقـوم	سيأتي بعد شدتها رخـاءُ

✦ ولحطان بن المعلَّى – شاعر إسلامي من شعراء الحماسة، من قطعة له يقول فيها :

أنزلني الدهـــر على حكمـــه	من شامـخٍ عـــالٍ إلى خَفضِ
وغالني الدهـــر بوفـــر الغنى	فليس لي مـالٌ سـوى عرضـي
أبكاني الدهـــر ويـــا ربمـــا	أضحكني الدهر بمـــا يرضـــى
لو لا بُنيّات كزغـــب القطـــا	رُددن مـــن بعـــض إلى بعـضِ
لكان لـي مضطـــربٌ واســـعٌ	في الأرض ذات الطول والعرضِ
وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا	أكبادنـــا تمشـــي على الأرضِ
لوهبَّت الريـــح علـى بعضهـــم	لامتنعـت عيني من الغمـــضِ

✦ ومن لم يمت بالسيف مات بغيره   تعددَّت الأسباب والموت واحدُ

✦ ولأبي بكر بن دريد الإمام اللغوي، من مقصورته المشهورة، يقول:

من ظلم الناس تحاموا ظلَمـــــه

وعز عنهم جانباه واحتمـــى

من لم يعظه الدهر لم ينفعه مـــا

راح به الواعظ يومًا أو غـــدا

من لم تفـــده عبـــرًا أيامـــــه

كان العمى أولى به من الهدى

من عارض الأطماع باليأس رنت

إليه عين العزِّ من حيـث رنـــا

من عطف النفس على مكروههـا

كان الغني قرينه حيث انتوى

والناس ألــفٌ منهـــمُ كواحـــد

وواحد كالألف إن أمر عنـى

وقد عارضها هازلاً محمد بن عبد الواحد الشاعر المعروف بصريع الدِّلاء، بمقصورة عجيبة....

✦ قالوا اقترح شيئًا نُجدْ لك طبخه

قلت اطبخوا لي جبَّةً وقميصًا

لأحمد بن محمد الأنطاكي المعروف بأبي الرمقمق المتوفى في نهاية القرن الرابع، شاعر يغلب على شعره الهزل كابن حجاج وصريع الدِّلاء، وقال قبله:

إخواننا قصدوا الصبوح بسحرٍ

فأتى رسولهم إليَّ خصوصًا

منوعات أدبية ٩١

✦ قال الشيخ أبو القاسم الجُنيد رحمه الله : الحكاياتُ جندٌ من جنود الله، يقوِّى الله بها أبدان المريدين.

وقال الإمام الموَّاقُ في كتابه " سنن المهتدين " عن شيخه المَنْتُورْيِّ، بسنده الى أبي العباس بن العريف، قال كنت في مجلس أستاذي أبي علي الصَّدفي أقرأ عليه الحديثَ، فقرأ يومًا الحديثَ، ثم أغلق الكتاب، وجعل يحكي حكايات الصالحين، فوقع في نفسي كيف يُجيزُ الشيخ أن يقطع حديث رسول الله ﷺ ويحكي الحكايات ؟! ... قال: فما تمَّ ليَ الخاطرُ حتى نظر إليَّ الشيخ شَزْرًا، وقال : يا أحمدُ، الحكاياتُ جندٌ من جنود الله، يُثَبِّتُ الله بها قلوب العارفين من عباده.

قال أبو العباس – : فما بقي في جسدي شعرةٌ إلا قطر منها العَرَقُ.
فلما رآني دهِشْتُ، قال لي : يا أحمدُ، أين مِصْداقُ ذلك من كتاب الله؟

قلتُ : الله أعلمُ. قال : قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ من سورة هود/١٢٠...

والنص من "أزهار الرياض في أخبار عياض" للشهاب المَعَرِّي ٢٢/١، وأسند كلمة الجنيد الخطيبُ في "تاريخه" ٧٥/٣، إلى أبي بكر الكتَّاني تلميذ الجنيد..

وفي هؤلاء قال القائل:

جمال ذي الأرضِ كانوا في الحياة وهُمْ
بعد المَمَاتِ جَمَالُ الكُتْبِ والسِّيَر

" فهرس الفهارس ٥١/١، لمحدث المغرب السيد عبد الحي الكتَّني رحمه الله تعالى"

✦ الإمام الشافعي رحمه الله واتصاله بالإمام مالك :-

عن الربيع بن سليمان قال : سمعتُ الشافعيَّ يقول : خرجتُ من مكة فلزمتُ هُذَيْلاً في البادية، أتعلَّمُ كلامَها وآخذ بلُغتها، وكانت أفصح العرب، فأقمت معهم مدةً أرحل برحيلهم وأنزلُ بنزولهم، فلما أن رجعتُ إلى مكة جعلتُ أُنْشِدُ الأشعار وأذكرُ الأيام أيام الناس، فمرَّ بي رجلٌ من الزُّهريين – أي من بني زُهْرة، إحدى قبائل العرب – فقال لي: يا أبا عبد الله عزَّ عليَّ أن لا تكون في العلم والفقه هذه الفصاحةُ والبلاغةُ ! ....

قلت : من بقي مِمَن يُقصدُ ؟ فقال: مالكُ بن أنس سيد المسلمين. قال: فوقع ذلك في قلبي، وقمت إلى "الموطأ" فاستَعْرْتُه من رجل بمكة وحفظته. ثم دخلت على والي مكة فأخذتُ كتابَه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس، فقدِمت المدينة، فبلَّغت الكتابَ فلما قرأ والي المدينة الكتاب قال: يا بُنيَّ إن مَشْيي من جَوْف المدينة إلى جوف مكة حافيًا راجلاً، أهونُ عليَّ من المشي إلى باب مالك، فإني لست أرى الذُّلَّ حتى أقِفَ على بابه ! ...

فقلتُ : إن رأى الأمير أن يوَّجه إليه ليحضرُ ! ...

فواعدتُه العصر، وقصَدْنا، فتقدَّم رجلٌ وقرع الباب، فخرجت إلينا جاريةٌ سوداء فقال لها الأمير : قولي لمولاك إنني بالباب. فدخلت فأبطأتْ، ثم خرجت فقالت : إن مولايَ يقول : إن كانت مسألةٌ ما فارفعْها إليَّ في رقعة حتى يخرجَ إليك الجوابُ، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس، فانصرفْ ... فقال لها الأمير : إن معيَ كتابَ والي مكة. فدخلتْ ثم خرجتْ وفي يدها كرسيٌّ، فوضعته، فإذا بمالك رجلٍ شيخٍ طُوال، قد خرج وعليه المهَابة، وهو متطيِّلسٌ، فدفع إليه الكتاب فبلغ إلى قوله : إن هذا ـ أي الشافعي

ـ رجلٌ شريفٌ، من أمره وحاله وتفعلُ وتصنع. فرمى ـ مالك ـ بالكتاب من يده وقال : يا سبحانَ الله، قد صار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يُؤْخَذُ بالوسائل !.. قال : فرأيتُ الواليَ وهو يهابُه أن يكلِّمَه، فتقدمتُ إليه. فقلت : أصلحك الله، إني رجلٌ مُطَّلبيٌّ، من حالي وقصتي. فلما أنْ سمع كلامي نظر إليَّ ساعةٍ ـ وكانت لمالك فراسةٌ ـ فقال لي : ما اسْمُك ؟. فقلت: محمد. فقال : يا محمد اتقِ الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأنٌ من الشأن. فقلت : نعم، وكرامةً. فقال : إذا كان غدًا تجيْ ويجيءُ معك من يقرأ لك " المُوطَّأ ". فقلت : إني أقرأ ظاهرًا.. قال : فغدوتُ إليه وابتدأتُ، فكلما أردت أن أقطع، أعجبه حُسنُ قراءتي وإعرابي، يقول : يا فتى زدْ... حتى قرأتُه عليه في أيام يسيرة. ثم أقمت بالمدينة إلى أن تُوفي مالك بن أنس رضي الله عنه....

الخبر من " مناقب الشافعي " للبيهقي ١/ ١٠٢ – ١٠٣ ...

✦ مَنْ أعزُّ الناس : ـ في سيرة الإمام أبي زكريا يحي بن زياد الفرَّاء ت٢٠٧ هـ ـ كان المأمون ـ الخليفة العباسيّ ـ قد وكلَّ الفرَّاءَ يُلَقِّنُ ابنيهِ النحوَ، فلما كان يومًا أراد الفراءُ أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدِّمانه له، فتنازعا أيُّهما يقدِّمُه، ثم اصْطلحا على أن يُقدِّم كلٌّ واحد منهما فَرْدًا فقدَّماها... وكان المأمون له على كلِّ شيء صاحب فرَفع ذلك إليه في الخبر، فوجَّه إلى الفراء فاستدعاه، فلما دخل عليه قال له: من أعزُّ الناس ؟.

قال : ما أعرِف أعزَّ من أمير المؤمنين.

قال : بلى !... مَن إذا نهضَ تقاتل على تقديم نَعْليه وليَّا عهد المسلمين، حتى رضي كلٌّ واحد أن يقدِّم له فَرْدًا !... قال : يا أمير المؤمنين، لقد أردتُ منعهما عن ذلك، ولكن خشيتُ أن أدفعهما عن مَكْرُمةٍ سبقا إليها، أو أكْسِر نفوسَهما عن شريفة حرَصًا عليها....

قال له المأمون: لو مَنَعْتَهما عن ذلك لأوسعتك لَوْمًا وعَتْبًا، وما وضَع ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدرهما، وقد ثبتتْ لي مخيلة القِراسة بفعلهما، فليس يكَبْرُ الرجل ـ وإن كان كبيرًا ـ عن ثلاث : عن تواضُعه لسلطانه، ووالده، ومعلِّمه العلمَ، وقد عوَّضْتُهما عما فعلاه عشرين ألف دينار، ولك عشرةُ آلاف درهم، على حُسْن أدبك لهما ".

من ترجمة الفرَّاء في " تاريخ بغداد " ١٤/١٥٠ للخطيب البغدادي.

✦ قال جوْط بن رئاب الأسدي :

دَبَبْتَ للمجدِ والسَّاعون قد بلغوا

جَهْدَ النفوسِ وألْقَوا دونه الأُزَرا

فكابدوا المجدَ حتى ملَّ أكثرُهم

وعانق المجدَ من أوفى ومن صبرا

لا تحسبِ المجدَ تمرًا أنت آكِلُه

لن تَبْلُغَ المجدَ حتى تَلْعقَ الصَّبِرا

✦ نصائح:

١- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " تفقَّهوا قبل أن تُسَوَّدوا ". ذكره البخاري في صحيحه ١/١٦٥ بشرحه فتح الباري.

٢ - وقال يحيى بن أبي كثير البصري أحد التابعين الفضلاء : ميراث العلم خيرٌ من ميراث الذهب، والنفسُ الصالحة خيرٌ من اللؤلؤ، ولا يُسْتَطاع العِلمُ براحة الجسم. أسنده إليه الخطيب في " تاريخ بغداد " ١٠/١٤٣-١٤٤، وأسند الجملة الأخيرة فقط الإمام مسلم في صحيحه ١/٤٢٨....

٣ - وقال الإمام أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد : من لم يركب المصاعب لم يَنَلِ الرَّغائب... أسنده إليه الخطيب في " الفقيه والمتفقّه " ٢/١٥.

٤ - وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله : " لولا الفَرَق من الله تعالى أن يَضيعَ العلمُ ما أفتيتُ أحدًا، يكون له المَهْنَأ وعليَّ الوِزْر!... رواه عنه الخطيب في " الفقيه والمتفقه " ٢/١٦٨... الفَرَق : الخوف ...

٥ - وقال الإمام أبو إسحاق إبراهيم الحربي رضي الله عنه. " من تكلم في الفقه بغير لغة، تكلَّم بلسان قصير...

أسند هذا اللفظ الخطيب في " الفقيه والمتفقه " ٢/٢٢ وللحربي كتاب " غريب الحديث "، فلعل هذه الكلمة في مقدمته...

٦ - وقال الإمام العاقل الحكيم الخليل بن أحمد شيخ النحو والعروض: " لا تَرُوَّنَّ على مُعْجَب خَطَأه، فيستفيد منك علمًا، ويتخذك عدوًّا...

من المقاصد الحسنة ص٤٣٠ للسخاوي، وأسند نحو هذا اللفظ الخطيب في " الفقيه والمتفقه " ٢/١٣٨ إلى تلميذ الخليل أبي عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى...

✦ حلم لم يتحقق :

حُكِيَ أن ناسكًا كان له سمن في جره معلقة على سريره، ففكر يومًا وهو مضطجع على السرير وبيده عكاَّز فقال : أبيع الجرَّة بعشرة دراهم، وأشتري بها خمس عنزات، فأولدهن بكل سنة مرتين، فيبلغ النتاج في عشر سنين مائتين، فأبيعهن فأبتاع بكل عشر بقرة، ثم ينمو المال بيدي فأبتاع العبيد والإماء، ويولد لي ولد فإن عصاني ضربته بهذه العصا، وأشار بالعصا فأصاب الجرَّة، فانكسرت وصبَّ السمن على وجهه ورأسه...

✦ التجربة أولاً :

قيل إن رجلاً مدح رجلاً في وجهه، وقال له : يا عبدَ الله لم مدحتني؟..

أجربتني عند الغضب فوجدتني حليمًا ؟ قال : لا، قال : أجربتني عند السفر فوجدتني حسن الخلق ؟ قال : لا. قال : أجربتني عند الأمانة فوجدتني أمينًا قال : لا. قال : لا يحل لأحد أن يمدح أحدًا حتى يجربه في هذه الأشياء الثلاثة...

✦ لها خال :

قال الجاحظ : رأيت جاريةً بسوق النحاسين ببغداد ينادي عليها وعلى خدها خال أسود، فاقتربت منها وأخذت أتفحصها، فقلت لها : ما اسمك ؟ قالت : مكة، فقلت : الله أكبر قرب الحج، أتأذنين لي أن أقبل الحجر الأسود ؟. فقالت له : إليك عني، ألم تسمع قول الله تعالى " لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ..." الآية....

✦ الكتاب والقلم :

قال ابن المعتز : الكتاب والج الأبـواب، جريء على الحجاب، مفهمٌ لا يفهم، وناطقٌ لا يتكلم، به يشخص المشتاق، إذا أقعده الفراق. والقلم مجهِّزٌ لجيوش الكلام، يخدم الإرادة ولا يمل الاستزادة، ويسكت واقفًا، وينطق سائرًا.

خاتمة

١- تزوج أعمى امرأة، فقالت له : لو رأيت حسني وبياضي لعجِبت!

فقال : لو كنتِ كما تقولين، ما تركككِ لي البُصراء.

٢- انطفأت الشمعة في دار جحا، فطلبت منه زوجته أن يناولها إياها من يمينه كي تشعلها.

قال لها : يا حمقاء !!. وكيف أعرف يميني من شمالي، في هذا الظلام الحالك؟!.

٣- قيل للأعرابي : مالك لا تجاهد ؟.

قال : والله إني لأبغض الموت على فراشي، فكيف أن أسعى إليه راكضًا..

٤- قال شاعرٌ يصف بخيلاً :

لا يُخرج الزئبق من كفِّه	ولو ثقبناها بمسمار
يحاسب الدِّيك على نقره	ويَطْردُ الهِّر من الدار
يكتبُ في كل رغيفٍ له	يحرسك الله من الفار

٥- المحامي للمتهم : أوضح للمحكمة : كيف أخذتَ السيارة؟

المتهم : وجدتها أمام المقبرة.. فظننت أن صاحبها قد مات..

٦- وضع بحَّار إنجليزي باقة من الزهور على قبر، ولاحت منه التفاته فرأى رجلاً صينيًا يضع آنية أرز على قبر قريب.

فقال ساخرًا : متى تظن سيخرج صديقك من قبره ليأكل الأرز ؟.

فابتسم الصيني وأجاب : في الوقت الذي يخرج فيه صديقه من قبره ليشتَم الزهور؟!..

٧- عن عبد الرحمن بن محمد الحنفي قال : قال أبو كعب القاص في قصصه كان اسم الذئب الذي أكل يوسف عليه السلام كذا وكذا.

فقالوا له : إن يوسف عليه السلام لم يأكله الذئب. قال : إذن اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف...

هذا وإن الكلمة الحلوة، والحكاية الغريبة، والشعر الرائع، والأحاديث والأخبار، والطرائف والنوادر، كلها مما يترك في النفس أعظم الآثار، ويقوي الروابط بين الصفوة الأخيار !.

أسأل الله ذلك. وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

د. زيد محمد الرماني

ص : ب : ٣٣٦٦٢ الرياض : ١١٤٥٨ السعودية

www.alukah.net اهداء من شبكة الالوكة

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١- جنى الجناس – جلال الدين السيوطي

٢- أخبار الظراف والمتماجنين – ابن الجوزي

٣- جمع الجواهر في الملح والنوادر – الحصري القيرواني

٤- تأديب الناشئين – ابن عبد ربه

٥- أدب الدين والدنيا – أبو الحسن الماوردي

٦- عين الأدب والسياسة – ابن هذيل

٧ - بهجة المجالس وأنس المجالس – ابن عبد البر القرطبي

٨- المعارف – ابن قتيبة الدينوري

٩- تذكرة الآباء – ابن العديم الحلبي

١٠- ثمار القلوب من المضاف والمنسوب – الثعالبي

١١- جامع بيان العلم وفضله – ابن عبد البر القرطبي

١٢- آداب المواكلة – بدر الدين الغزّي

١٣- بصائر ذوي التمييز – الفيروز آبادي

١٤- مفتاح السعادة ومصباح السيادة – طاش كبري زاده

١٥- تذكرة السامع والمتكلم – ابن جماعة الكتاني

١٦- إحياء علوم الدين – أبو حامد الغزالي




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٧- جواهر الأدب - أحمد الهاشمي
١٨- مصطلحات نقدية وبلاغية - الشاهد البوشيخي
١٩- القلائد من فرائد الفوائد - مصطفى السباعي
٢٠- تراث السلف - محمد السراج
٢١- الأعراب الرواة - عبد الحميد الشلقاني
٢٢- كناشة النوادر - عبد السلام هارون
٢٣- من شوارد الشواهد - الشيخ علي الطنطاوي
٢٤- طرائف ونوادر - نايف معروف
٢٥- غرائب الأخبار - أحمد عاشور
٢٦- أبجد العلوم - صديق القنوجي
٢٧- العلوم عند العرب - يوسف خوري
٢٨- آداب طالب العلم - محمد سعيد رسلان
٢٩- حلية طالب العلم - بكر أبو زيد
٣٠- أنيس الجليس - علي الهزاع
٣١- التذكرة في الاستعداد ليوم الآخرة - علي الهزاع
٣٢- غريزة أم تقدير إلهي - شوقي أبو خليل
٣٣- الحيوان في الأدب العربي - شاكر هادي شكر





www.alukah.net اهداء من شبكة الألوكة

٣٤- المختار من فرائد النقول والأخبار - محمد عوامة

٣٥- من نوادر التاريخ - صالح الزمنام

٣٦- المجموع المنتخب من المواعظ والأدب - زامل الزامل

٣٧- قطوف رمضانية - فتحي عبد الله

٣٨- الدلائل النورانية لطالب الربانية - عدنان الرومي، علي الهزاع

٣٩- جمال الخواطر - محمد الحسن السّمان

٤٠- أغاني ترقيص الأطفال عند العرب أحمد أبو سعد..




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفهرس

